أ.د. عبد الكريم بكار

تأسيس عقلية الطفل



مكتبة لسان العرب

وجوه
WOJOOOH

تأسيس عقلية الطفل

(طبعة ثانية مهذبة ومدققة)

أ.د. عبد الكريم بكار

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com

تأسيس عقلية الطفل

أ. د. عبدالكريم بكار

الطبعة الثانية

1433 هـ - 2012م

التنفيذ الفني والنشر والتوزيع

دار وجوه للنشر والتوزيع
Wojooh Publishing & Distribution House
www.wojoooh.com
المملكة العربية السعودية - الرياض
ت: 4562410-01 فاكس: 4561675-01
للتواصل والنشر:
wojoooh@hotmail.com
Like
http: / /www.facebook.com /Wojoooh

ح/ دار وجوه للنشر والتوزيع ١٤٣٣هـ.
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
بكار، عبد الكريم محمد الحسن
تأسيس عقلية الطفل / عبد الكريم محمد الحسن بكار
الرياض ١٤٣٣ ١١٥ ص
ردمك: ١-٥٠-٨٠٦٥-٦٠٣-٩٧٨
ديوي ١, ٣٧٠ ٨٤٤٥/ ١٤٣٣
رقم الإيداع: ٨٤٤٥/ ١٤٣٣
ردمك: ١-٥٠-٨٠٦٥-٦٠٣-٩٧٨

تمهيد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإن الله ﷻ جعل هذه الدنيا داراً للابتلاء والاختبار، وإن من أشد ما ابتلينا به القيام بحقوق الأهل والأبناء وتوجيههم، والأخذ بأيديهم إلى ما فيه خيرهم في دنياهم وآخرتهم. والحقيقة أنه لا يوازي العمل الشاقَّ الذي يقوم به المربون إلا ذلك النبلُ الذي تنطوي عليه نفوس المعلمين والآباء الناصحين، ولا يخفف من الشعور بأثقال التربية إلا ما ينتظره المربون المخلصون من مثوبة الله تعالى وحسن جزائه ومعروفه؛ ولهذا فإن إرهاق النفس واستنفاد الطاقة الروحية في التربية والتعليم، من أعظم ما يُتقرب به إلى الله تعالى، ولِمَ لا والمربي يترك بصماته القوية على الاتجاهات الفكرية والشعورية لدى من يربيهم. ولا بد من القول:

إن كثيراً من الآباء والأمهات يعوِّلون على المدرسة في تربية أبنائهم بوصفها المؤسسة الأفضل تأهيلاً لمعالجة مسائل التربية، وهذا يدفع الأبوين إلى التراخي في القيام بواجبهما، وتأجيل ما عليهما القيام به أملاً في توليه من قبل المعلمين بعد حين، وأعتقد أن هذا المفهوم المستبطَن لدى كثير من الناس ترك آثاراً سلبية وسيئة على اهتمام المربين في البيوت، وأضعف من الدور الرئيس الذي كان عليهم القيام به في تهذيب أبنائهم.

إن هناك سناً مثالية لزراعة بعض القيم والمفاهيم في نفوس الأطفال وعقولهم، وإن إلقاء عبء التربية على المدرسة سيعني ضياع كثير من الفرص الذهبية من أيدي الأبوين، أضف إلى هذا أن كثيراً من المدرسين ليس لديهم الوقت ولا الرغبة في القيام بدور المربي الجيد، لأنهم يعتقدون أن واجبهم الأساسي هو التعليم، وليس التربية؛ ومهما يكن هذا المعتقَد خاطئاً، فإنه لا بد للأسر من أن تعمل على استعادة دورها الريادي في تنشئة أبنائها.

إن الهدف من التربية هو تنشئة جيل ملتزم بتعاليم دينه، قادر على التعامل مع معطيات زمانه، منضبط ذاتياً، ومقدر للمسؤوليات الملقاة على عاتقه؛ وهذا لن يتم إلا من خلال وجود مربين، يملكون ثقافة تربوية جيدة، ولهم وضعية سلوكية قويمة. والحقيقة أن الطفل الجيد هو الذي يتعرض لتربية جيدة، والتربية الجيدة تحتاج إلى اهتمام ورعاية ومتابعة، كما تحتاج إلى معرفة وممارسة، وفي ظني

أن المربين يحتاجون اليوم إلى أمرين مهمين:

١- تعلم الأساليب والممارسات الصحيحة في تربية الأبناء، وأن يسلكوا المسالك، ويقفوا المواقف التي تساعد الصغار على الاستقامة، وتمثُّل القيم والأفكار والمفاهيم الصحيحة، والشيء الذي يجب التركيز عليه هنا، هو أن ما يجب إيصاله للأطفال عن طريق الرؤية والمشاهدة والموقف، سيكون قليل الجدوى إذا وصل إليهم عن طريق الأذن والخطاب والعتاب، حيث إن أفضل طريقة لجعل الأبناء يحترموننا، ويحترمون أنفسهم أيضاً هي أن نعاملهم باحترام، كما أن أفضل طريقة لجعلهم عطوفين ومدركين لمشاعر الآخرين، هي أن نعاملهم بعطف وحب، وأن يرونا نتعاطف مع الضعيف والمسكين والمظلوم...

٢- معرفة عدد جيد من المفاهيم والرؤى التي تتصل بجوانب الحياة المختلفة، مما يوجه السلوك، وينظم ردود الأفعال، ويصوغ التوجهات العامة للأبناء، وربما كانت المدارس ووسائل الإعلام، وحلقات التوجيه والإرشاد المختلفة، أقدر على امتلاك هذه المفاهيم والرؤى وإيصالها على النحو المناسب، ولكن من المأمول مع انتشار التعليم وتقدم الوعي أن يصبح في إمكان الكثير من الأسر المسلمة القيام بذلك.

وقد قمت بتأليف هذا الكتاب من أجل تلبية هذين الأمرين معاً وشرحهما على أفضل وجه ممكن.

العقل:

إن الدماغ نعمة من أجلِّ النعم التي أسبغها الباري سبحانه على بني الإنسان، فهو مع حجمه الصغير، يقوم بعمليات معقدة جداً يعجز عنها أي حاسب آلي مهما كان عملاقاً وبسرعة فائقة ومدهشة.

إن الحيوان يتحرك وفق غرائزه، ولهذا فإن قدرته على التعلم محدودة جداً ووعيه بذاته محدود أيضاً وليس كذلك الإنسان.

العقل يقابل الغريزة، والإنسان حين يتصرف تبعاً لغرائزه، فإنه يسير على طريق الحيوان، وحين يفكر ويحلل ويقدِّر، فإنه يتجاوب مع الخصوصية التي ميزه الله تعالى بها على سائر المخلوقات، ويعمق بالتالي معنى وجوده، كما يحسِّن وضعيته في الكون.

الدماغ ليس هو العقل، لكنه يشكل الوعاء الذي يسكن فيه العقل، أما العقل فإنه مكوَّن من مجموعة الإمكانات والمبادئ التي نستخدمها في تصورنا للوجود، وفي فهمنا للمحيط، كما نستخدمها في التمييز بين الخير والشر والحسن والقبيح...

ولا بد من القول: إن في إمكاننا أن ننظر إلى العقل - على مستوى من المستويات - على أنه عضو من أعضاء الجسم، نستخدمه في تدبير أمور معاشنا وتنظيم ردود أفعالنا، كما نستخدم اليد والرجل، وأحياناً نعرض عنه، ولا نستخدمه، وذلك حين نتبع أهواءنا وشهواتنا، وحين نستسلم لعواطفنا وانفعالاتنا بعيداً عن المسلمات والآداب والتعليمات التي نؤمن بها. وقد أشار القرآن الكريم إلى

هذا حين قال: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾[1] إن أولئك الضالين لهم قلوب وعقول وأعين وآذان، لكنهم لا يستخدمونها في التفكير في وحدانية الله تعالى ولا في النظر إلى الآيات والدلائل على وجوده، ولهذا فإنهم مثل الأنعام في عدم التفريق بين الخير والشر والنفع والضرر، بل هم أضل لأنهم لم ينتفعوا بما ميزهم الله به عن الحيوان من القدرة على الفهم والإدراك.

إن الإمكانات الذهنية التي تشكل (العقل الوهبي) موحدة على مستوى العالم، حيث لا نعرف شعباً يملك سعة في الخيال أو قوة في الذاكرة أو قدرة على الربط بين الأشياء.. أكثر مما يملكه غيره من الشعوب، لكن تلك الإمكانات تتفاوت تفاوتاً عظيماً بين الأفراد، حيث نجد من يملك المقدرة العقلية للعباقرة والأذكياء العظام، كما نجد من يمكن تصنيفه في جملة الأغبياء. هذه الحقيقة تجعلنا نطرح على أنفسنا السؤال التالي: لماذا نجد أمماً تبدع وتخترع وتنتج، ونجد أمماً تستهلك وتشتري، وتقف مشدوهة تجاه فنون الآخرين وعلومهم وإبداعاتهم؟

الجواب هو: أن الإبداعات والإنجازات، لا يمكن أن تنشأ، وتنتعش

---

١ – سورة الأعراف:١٧٩

في بيئات يسيطر عليها الجهل والكسل والفوضى والظلم والاستبداد والانغلاق والإهمال.. إن الإبداع يحتاج إلى مؤسسات تعليمية ممتازة، وإلى أسر مهتمة، وإلى حكومات وشركات تنفق على البحث العلمي بسخاء.

العقلية:

التربية التي نتلقاها والخبرات المتنوعة التي نمر بها، والمعارف التي نهضمها ونتمثلها تعمل على صياغة كل واحد منا صياغة خاصة ليكون في النهاية شخصاً فريداً ومتميزاً، حيث إن من المشاهد أن لكل واحد منا مزاجه الخاص وميوله وطرق تفكيره وأسلوبه في رؤية الأشياء كما أن له أمنياته وتطلعاته وحساسياته الخاصة نحو ما يؤلمه ويزعجه، ويظهر كل هذا في سلوك الإنسان وفي علاقاته مع الناس، وفي طريقة تناوله لشأنه، وهذا يشكل في الحقيقة معظم ملامح شخصية الإنسان، وإن التعبير عن هذه الشخصية يتم بواسطة شيء، يمكن أن نسميه (العقلية) إذ إن عقلية الواحد منا ليست ما لديه من أفكار ومعلومات، وإنما هي أعم من ذلك، إنها تشمل المصطلحات والتعريفات التي نعتمدها في التعامل مع الأشياء إلى جانب شمولها للطرق والأساليب التي نفكر من خلالها، ولا ننسى في هذا الشأن قوة المشاعر التي لدينا؛ حيث إن من الثابت والواضح أنه كما تكون الأفكار والمعتقدات سبيلاً لتوليد المشاعر، فإن المشاعر والعواطف،

تملك قدرة كبيرة على توجيه العقل وجعله ينتج الأفكار التي تنسجم معها، أو تسوِّغها، أو توفر تغطية ثقافية لها، وأعتقد أن هذه النظرة لـ(العقلية) هي النظرة التي تتلاءم مع ما نعرفه عن الطبيعة البشرية، ونحن في هذا الكتاب سنمضي وفق هذه الرؤية للعقلية، وسأبذل جهدي في سبيل توفير الأفكار والأساليب والأدوات التي تساعدنا على تأسيس عقلية الطفل المسلم على نحو يمكِّنه من فهم زمانه ومواجهة تحدياته والاستفادة من الهدي الرباني الأقوم في شأنه كله.

وقد رأيت تقسيم هذا الكتاب إلى قسمين:

القسم الأول: يتضمن توطئة حول استجابة الدماغ للتعليم والتدريب وحول أهمية القراءة في ذلك، كما تضمَّن كلاماً موجزاً عن وعي الطفل بذاته وعن بعض المبادئ الحياتية العامة.

القسم الثاني: وقد تحدثت فيه عن الطفل المفكر وأنواع التفكير وتكوين المفاهيم.

وإني لأدعو الله تباركت أسماؤه أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به إخواني المربين وأخواتي المربيات؛ إنه سميع مجيب.

المؤلف

القسم الأول

١ - توطئة
٢- وعي الطفل بذاته
٣- مبادئ حياتية عامة

١

توطئة

أشرت من قبل إلى أن في إمكاننا أن ننظر إلى (العقل) على أنه عضو من أعضاء الجسم، وذلك باعتبار من الاعتبارات، وكما أن الواحد منا يتعامل مع الأشياء عبر أدوات فإن (العقل) كذلك يتعامل مع القضايا والمسائل والمشكلات وكل الأشياء عبر أدوات، لكن أدواته من نوع مختلف، الحداد يتعامل مع الحديد من خلال المطرقة والسندان والمقص، والنجار يتعامل مع الخشب من خلال المنشار والقدوم والفأرة.. أما العقل فإن أدواته عبارة عن رموز لغوية وتعريفات ومصطلحات وأفكار ومفاهيم ونظريات ورؤى ومعادلات... وكما أن الحداد يجد نفسه عاجزاً عن التعامل مع الحديد من غير سندان ومطرقة...كذلك العقل يجد نفسه عاجزاً عن التفكير في أمور لا يملك معلومات وأفكاراً عنها. لو طلبنا من أي إنسان أن يفكر في قضية من القضايا مثل إصلاح (جامعة) وهو لا يعرف معنى الجامعة

الحاسب (كراي) حاسب عملاق يزن سبعة أطنان، فإذا عمل بطاقة ٤٠٠ مليون معادلة في الثانية، مدة مائة عام، فإنه لن ينجز سوى ما يمكن للدماغ البشري إنجازه في دقيقة واحدة!

أو طلبنا منه التحدث عن قيمة (الإخلاص) أو (التعاون) وهو لا يعرف أي شيء عن دلالة هذه الكلمة، فإننا نكون كمن طلب من شخص أن يدخل بيتاً ليس له باب ولا نافذة، ولهذا فإننا نلاحظ أن الأطفال حين يسمعون الكبار، يتحدثون في موضوع جديد، فإنهم يسألون عن معاني الكلمات التي تشكل مفاتيح الموضوع، لأنهم من غير ذلك لا يستطيعون استيعابه.

حين نسرد الغرائب والعجائب على مسامع الأطفال، فإننا نشوه البنية العقلية لديهم، ونمحو في أذهانهم الفوارق بين الممكن وغير الممكن والسهل والصعب.

إن مرحلة الطفولة المبكرة تقع بين ثلاث وست سنوات، وقد فطر الله الخالق عزّ وجلّ الطفل على حب التساؤل في هذه السن كي يزود عقله بأكبر قدر ممكن من المفاهيم والمعلومات، وقد أطلق أحد الباحثين على هذه المرحلة اسم (مرحلة التساؤل) حيث تدل بعض الدراسات على أن ما بين (١٠٪ إلى ١٥٪) من حديث الطفل في هذه المرحلة يكون عبارة عن أسئلة.

إنك تسمع منه دائماً: (ماذا) و (لماذا) و(أين مكانه) و (كيف صار) و (من أين جاء) و (ما هو) و (ما هي) و (هل تعرف).. إنه يريد معرفة كنه الأشياء التي تثير انتباهه، ويريد أن يفهم الأشياء التي يراها ويسمع عنها، وقد يفهم الجواب، وقد لا يفهمه، وقد ينصت وقتاً كافياً للإجابة، وقد لا ينصت.

في مرحلة الطفولة المبكرة تبدأ المفاهيم بالتشكل، والمفاهيم التي تتبلور في ذهن الطفل أولاً هي المفاهيم المرتبطة بالأشياء المحسوسة

والمشاهدَة، وذلك مثل مفهوم (الزمن) و (المكان) والمفاهيم المتعلقة بالأشكال الهندسية: المربع والمستطيل والدائرة... وأيضاً المفاهيم المرتبطة بالمأكولات والمشروبات والملبوسات، وتلك المرتبطة بالأب والأم والجدة والجار..

إن الطفل يظن في البداية أن كل رجل أب، كما يظن أن كل امرأة أم وكل طفل أخ، ومع معايشة الأشياء والناس والأحداث والمواقف وتكرار الخبرات يبدأ مدلول المفاهيم بالاتساع، ويبدأ بالانفصال عن المظاهر الخاصة، كما يبدأ الطفل بإدراك أن (الصبي) قد يكون (أخاً) ولكن ليس له، وإنما لطفل آخر، كما يدرك أن (المرأة) قد تسمى (أماً) ولا تكون أمه.. وهكذا يبدأ بالتدرج في التعامل مع الألفاظ على أنها تدل على المعاني مستقّلة عن الإشارة إلى شيء معين، إلى أن ينتهي به الأمر إلى تصور المعاني والمفاهيم المجردة، مثل الصدق والأمانة والعطف والخوف والفرح..

ما نكتسبه من علوم ومفاهيم وأساليب أهم بكثير مما نرثه عن الآباء والأجداد من تفوق ذهني.

إن المفاهيم تشكل معظم النشاط العقلي، وإن مخزون الطفل منها، وإن كفايتها ومدى بلورتها، إن كل ذلك مرتبط بما لدى الطفل من قدرات عقلية، فالطفل الذكي يمتلك مفاهيم أكثر من الأطفال العاديين الذين في مثل سنه، كما أن تلك المفاهيم تكون أكثر تحديداً وأفضل دلالة لدى الأذكياء منها لدى الأطفال العاديين ومَن دونهم، وهذا يعني أن النمو العقلي والفكري لا يتوقف على جهودنا في تعليم الأطفال فحسب، كما أنه لا يتوقف على الجهود التي يبذلها الأطفال،

وإنما يضاف إلى ذلك دور القدرات الذهنية الفطرية التي يمتلكها الطفل، فالطفل الذكي يستوعب ويحفظ ويحلل ويطور، ويستخدم ما يقرأ ويسمع ويرى على نحو أفضل مما يفعله الطفل العادي، وهنا شيء لا بد من ذكره، وهو أن دماغ الطفل ينمو في الحجم والوزن حين يستجيب للتحديات والمواقف الجديدة التي نقدمها إليه: حين يحاول طفل أن يلمس شيئاً معلقاً يصعب الوصول إليه، وحين يحاول أن يميز بين الأشكال، ويجد صعوبة... في هذه اللحظة تتكون داخل الدماغ ممرات كهربائية جديدة، لكي تحمل وسائل حل للمشكلة، وهنا ينمو العقل، وقد وجدت إحدى الباحثات على الفئران أن الخلايا العصبية التي تكوِّن قشرة الدماغ تتبدل بالخبرة، ومن خلال استخدام الاستجابة للبيئة المحفزة، ففي البيئة الثرية حيث تتواصل الفئران بعضُها مع بعض، وتلعب على أرجوحة أو أي جهاز آخر في حركة دائرية، يزداد حجم الفئران، وتصبح عقولها أكثر فاعلية، لأن التحفيز أوجد تواصلاً وروابط جديدة بين خلايا الدماغ.

إن المرء حين يتحدث وهو غاضب فإن من المتوقع أن يفقد شيئاً من توازنه، وأن ينساق وراء انفعالاته.

عقول الأطفال تنمو من خلال ألعاب الذكاء، ومن خلال الأنشطة الإيجابية، مثل القراءة، أما مع الأنشطة السلبية مثل مشاهدة التلفاز، فإنها تفقد المحفِّز، وتبقى دون نمو ملحوظ. ما الرسالة التي نريد إيصالها من وراء هذا الكلام؟

الرسالة هي: النصح بالإعراض عن التفكير في الذكاء الموروث والكف عن تقويم الأبناء والتعامل معهم بناء على ما نعتقده من

وجوده لديهم، والعمل على إثراء البيئة التي نوفرها لهم، بالإضافة إلى الإكثار من التدريب على التفكير بالوسائل المختلفة، فهذا هو الذي يعود عليهم بالنفع الحقيقي بإذن الله تعالى، وشيء آخر أود التركيز عليه، هو ذلك العناق الأبدي بين الشكل والمضمون، فطرق تربيتنا وتعليمنا لأبنائنا، تؤثر تأثيراً كبيراً في نوعية المفاهيم التي نود إيصالها إليهم، كما أن المفاهيم التي اخترناها لتثقيفهم وتكوين عقلياتهم، تؤثر في طرق تربيتنا، ومن هنا فإن أي تقدم يطرأ على طرق التربية ينعكس إيجاباً على المضامين الفكرية، كما أن أي تحسين يطرأ على نوعية المفاهيم التي نقدمها ينعكس على الأساليب التربوية، والعكس صحيح..

إن كل ما نتحدث عنه من المؤثرات في تأسيس عقلية الطفل هو من باب الظن العلمي، وعند الخوض في التفاصيل قد نجد أشياء كثيرة نختلف فيها.

الحوار مع الأطفال وتشجيعهم على القراءة وزيادة المكتبات والمعارض والمتاحف، وشرح ما يصعب عليهم استيعابه، وتوفر ألعاب الذكاء لديهم.. كل هذا يساعد على امتلاك الصغار لقدرات ذهنية جديدة، وهذا ما نتطلع إليه، وينبغي أن نحرص على إيجاده.

هناك قضية أشرت إليها، ولا يصح أن نمر عليها مرور الكرام، وهي قضية (القراءة) واصطحاب الكتاب وعلاقتها بالذكاء والتفوق والنهوض، حيث إن المعلومات والحقائق تشكل جوهر الذكاء الإنساني فالجاهل بقضية من القضايا، مهما كان متفوقاً في إمكاناته الذهنية يبدو أشبه بأبله حين يتحدث فيها، وذلك لأن العقل البشري، لا يملك إمكانات كبيرة على توليد المعلومات، بسبب أن وظيفته الأساسية تتمثل في الاشتغال على المعلومات المتوفرة، تماماً كما يشتغل الخياط

على القماش وصانع الحلوى على الدقيق والسكَّر، ويبدو لي أن كثيراً من الآباء والأمهات غير قادرين على استيعاب هذه الحقيقة والبناء عليها، ولهذا فإن الاهتمام بتعويد الأبناء عادة (القراءة) منذ الصغر ما زال ضعيفاً لدينا للغاية!

القراءة هي أقوى وسائل النمو الفكري حيوية، ولهذا فإننا في حاجة إلى أن نجعلها في أعلى سلم أولوياتنا التربوية والتعليمية، وإذا كبر الصغير دون أن يتعلم عادة القراءة، فقد يكون من الصعب بعد ذلك أن يتعلمها، أو أن يتخلص من عادة القراءة السيئة، ونكون في كل حال قد فوَّتنا عليه فرصة البداية الصحيحة.

> إن العمل الأساسي للأجداد والجدات هو تدليل الأطفال، فدعهم يمارسون عملهم

وتدل دراسة أجريت في جامعة (إلينوى) على طلاب الصف الخامس الابتدائي حول عادات القراءة على أن الأطفال المميَّزين بشكل خاص في القراءة يقضون أربعة أمثال الوقت الذي يقضيه غيرهم من الأطفال فيها، وتدل تلك الدراسة أيضاً على أن الأطفال المتفوقين الذين يحصلون على(٩٠٪) في الاختبارات يقضون في القراءة حوالي عشرين دقيقة كل يوم.. هذا غير القراءة المنهجية للمقررات الدراسية، أما الأطفال الذين يحصلون في الاختبارات على (٥٠٪) فيقرؤون مدة ست دقائق كل يوم فقط، وقد قام أحد الباحثين بدراسة من نوع آخر على الأسر في إحدى المدن، فتبين أن العائلات المميَّزة والناجحة في تربية أبنائها، تشاهد (التلفاز) وسطياً مدة ساعتين وربع يومياً، وهذا يشكل أقل من متوسط ثلث زمن

المشاهدة لدى عامة الأسر، وهو سبع ساعات يومياً!
في بلدان عديدة، تهتم بالعلم والمطالعة والثقافة شعر الناس بخطورة (التلفاز) على الأبناء، حيث إنه يصرفهم عن القراءة النافعة، ومن ثم فإنهم حددوا للصغار الأوقات التي في إمكانهم أن يشاهدوا فيها بعض البرامج المختارة، وبعض الأسر أخذت على عاتقها عدم فتح التلفاز يوماً في الأسبوع كي تكسر حدة الإدمان عليه لدى الصغار. إننا إذا بذلنا جهداً جيداً في تعويد الصغار القراءة، فإنهم سيفضلونها على أي نشاط آخر طيلة حياتهم، وهذا مكسب كبير جداً، لا يصح التفريط به.

طريق التربية مليء بالعقبات والإحباطات، ولهذا فإن سالكه يحتاج إلى وقود روحي متجدد؛ والإيمان هو الذي يوفر ذلك الوقود.

وهذه بعض النصائح حول هذه القضية المهمة:

١ – اصطحب الأطفال إلى المكتبة مرتين في الشهر، ودعهم يختارون بأنفسهم الكتب التي يحبون قراءتها، وحين يختارون كتاباً غير مناسب قم بدورك في التوجيه والدلالة على البديل النافع، لكن تجنب في كل الأحوال إجبارهم على قراءة شيء لا يحبونه، حيث إن إكراههم على ذلك قد يكون سبباً في عزوفهم الدائم عن قراءة أي شيء.

٢- لا بد من أن يكون لدى كل أسرة مكتبة منزلية صغيرة، يساهم في تأسيسها جميع أفراد الأسرة، ومما لا يصح أن تخلو منه تلك المكتبة بعض المراجع الأساسية في التفسير والحديث والفقه والسيرة والتاريخ واللغة والأدب وذلك حتى يعود أهل المنزل إليها عند الحاجة إلى مراجعة بعض المسائل، وفي الأسواق الآن

كتب ترشد الأسر إلى مواصفات المكتبة المنزلية الجيدة.

٣- هناك شيء نقوم به قبل معرفة الطفل للقراءة، وهو أن نقوم نحن بالقراءة له، وهذا يمكن أن يبدأ والطفل في سن الثالثة: لنقرأ له بعض القصص والحكايات المشتملة على بعض المعاني اللطيفة وبعض القيم والأخلاق الحميدة، ولنحاول شرح ما نقرؤه له حتى نؤسس لعاطفة الارتباط بالقراءة والكتاب، وهذا ما تفعله الأمهات الممتازات في كثير من بلاد العالم اليوم.

٤- حين يصبح الأبناء في المرحلة الابتدائية، ويتمكنون من القراءة بأنفسهم، فإن علينا أن نشجعهم على الحديث عن الأشياء التي قرؤوها، فإذا قرأ الطفل قصة، نلقى عليه أسئلة عن اسم المؤلف وعن المحور الذي تدور حوله القصة والرسالة التي يود كاتبها إيصالها إلى القارئ، بالإضافة إلى أسماء أشخاص القصة أو الرواية وأدوارهم فيها، ثم نقوم نحن بإعادة صياغة أفكار الصغير، وشرح بعض المضامين التي تحدث عنها، وربط ما يمكن ربطه بالإيمان بالله تعالى وبالمبادئ والقيم التي نؤمن بها..

اتح للصغير فرصة ولو مرة واحدة للتميز على من حوله، وذلك كأن يكون أول من دخل دورة في فن من الفنون أو أول من امتلك حاسباً آلياً من طراز كذا

٥- بعض الأسر تقوم بشيء جميل حين تشعر أن أبناءها قد كبروا، وصاروا في المرحلة المتوسطة والثانوية، وأصبحوا قادرين على الدخول في مناقشات جادة وواعية، إنها تعقد جلسات أسبوعية، أو نصف شهرية للتحدث حول الأمور التي قرأ حولها أبناؤهم في الحقبة الماضية، إنهم يتحدثون حول مضامين بعض الروايات العظيمة التي

قرؤوها، ويُطلعون بعضهم على أجمل الفقرات وأعظم الأفكار التي سجلوها من خلال قراءاتهم، كما أنهم يحاولون أن يفهموا سوياً بعض المسائل الصعبة، مثل الاعتدال والنزاهة وممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والخشوع في الصلاة والتدبر لكتاب الله تعالى ومتطلبات التفوق... إن تلك الأسر تبرهن فعلاً على أنها أسر متعلمة ومهتمة بتطوير نفسها وتعيش زمانها، إنها تشكل محضناً عظيماً لرعاية الأفكار والمشاعر، وتنمية المعارف.

حاول دائماً أن تمنح ابنك فرصة ثانية.

نقاط للتذكر:

١ - عقولنا لا تتعامل مع القضايا والأشياء على نحو مباشر، وإنما عبر أدوات، وأدواتُها هي التعريفات والمفاهيم والمعلومات.

٢ - تتفتح أذهان الأطفال على الأشياء المحسوسة أولاً، وشيئاً فشيئاً تبدأ بالتعرف على المعاني المجردة.

٣ - ينمو دماغ الطفل حجماً ووزناً على نحو مواكب للتحديات والمواقف الجديدة، وكلما كانت البيئة أعظم ثراء، كانت الفرصة لنموه أكبر.

٤ - بين طرق التربية والمفاهيم التي ننقلها للطفل نوع من التأثير المتبادل.

٥ - العقل من غير معلومات خواء ويطرح عند تعامله مع القضايا المهمة آنذاك طروحاً شكلية وسطحية.

٦ - إعراض الأمة عن القراءة أساس لعدد كبير من المشكلات، وتعويد الأطفال القراءة هو المدخل لمعالجة تلك المشكلات.

٧ - المكتبة المنزلية ضرورة حيوية، وينبغي أن يشارك الأطفال

وجود نظام للحركة اليومية في المنزل يُشعر الطفل بالأمان.

في تأسيسها ورفدها بالكتب الجديدة.

٨- على الأسرة أن تتداول فيما بينها الأفكار والمعاني والمسائل التي يطلع عليها أفرادها في قراءاتهم الخاصة.

تطبيقات وتدريبات

- اشرح للطفل شيئاً عن الدماغ، وعن تجلي قدرة الله تعالى في إبداعه
- وضح للطفل أنه ليس هناك شخص يملك كل الأجوبة على كل التساؤلات.
- دع الطفل يحاول أن يشرح لك معنى (الأمانة) واطلب منه ذكر بعض الأمثلة.
- ناقش مع الطفل أهمية تخصيص وقت للقراءة يومياً.
- اسأل الطفل عن الأثر النفسي والسلوكي الذي تركه في نفسه اطلاعه على كتاب معين.

لنمنح الأطفال فترة راحة من بعض ما ألزمناهم به مرةً كل مدة إذ إن هذا ما دام مهماً لدى الكبار فهو أيضاً مهم لدى الصغار.

٢

وعي الطفل بذاته

يقدم الطفل إلى هذه الحياة وهو من غير أي حول أو طول، ومعرفته بنفسه وبما حوله معدومة، كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم حين قال: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[1] لكن الطفل مفطور على حب التعلم ومحاولة الفهم لذاته ولما حوله، فبعد مرور عام على ولادته تنمو صورة ذاته لديه، ويزداد التفاعل مع الأبوين - ولاسيما الأم - ومع الآخرين، ويبدأ باستخدام بعض الكلمات، وتشكل الضمائر نحواً من ١٠٪ منها، وبعد مرور سنتين يزداد شعوره بفرديته وشخصيته، ويشعر بأن له ذاتاً، وأن للآخرين ذواتهم المغايرة، كما يشعر أن له ممتلكاته الخاصة.. إن الذات تعني ذلك التكوين المعرفي المنظم للمدركات الشعورية والتصورات

لكل مرحلة عمرية تصرفات تناسبها فإذا أردنا للصغار أن يتصرفوا وفق مرحلتهم، فعلينا أن نتصرف وفق مراحلنا.

١ - سورة النحل: ٧٨

والتعميمات الشخصية، والطفل هو الذي يبلور ذلك التكوين، ويعتبره تعريفاً خاصاً لنفسه. ولا أريد الإفاضة في هذا الموضوع (التقني) لكن أود أن أؤكد شيئاً وقع عليه ما يشبه الإجماع بين علماء النفس، وهو أن تعرُّف الطفل على ذاته يتم عبر التفاعل مع أبويه وإخوته وجيرانه وزملائه وأصدقائه.. إن الطفل كثيراً ما يتخذ من أبويه مثلاً أعلى، ثم يبدأ بتقليد ذلك المثل في سلوكه ورؤيته للحياة وفي مشاعره وردود أفعاله، ومن هنا فإن حب الوالدين للطفل وعطفهما عليه واتجاهاتهما نحوه أثناء مراحل نموه، تكون على درجة كبيرة من الأهمية في تكوين الذات لديه، وينبغي أن نقول: إن معرفة الإنسان بذاته لا تكتمل أبداً، فهناك دائماً شيء غامض أو مشكوك فيه، وهذا هو السر في أن رؤيتنا لأنفسنا تظل قابلة للتعديل، وكثيراً ما يرتكز العلاج النفسي على تغيير مفهوم الذات لدى الشخص المعالَج، وينجح العلاج بناء على ما يمتلكه الناس من مرونة لتصوراتهم حول ذواتهم. إن على المربين أن يشجعوا الأطفال على المشاركة في المناقشات العائلية، وأن يدعموا أسلوب التدريس الحواري داخل الفصول الدراسية، كما أن عليهم أن يسمحوا للصغار في المشاركة في اتخاذ بعض القرارات الصغيرة، وإتاحة الفرصة لهم، لينتقدوا الأشياء التي لا يرونها مناسبة.. إن التفاعل على هذا النحو هو الذي يرفع سوية فهم الأطفال لذواتهم وإمكاناتهم، وهو الذي يساعدهم على بلورة رؤية خاصة بهم للحياة والأحياء؛ وكلما

> لا ينبغي أن نتوقع من الطفل استيعاب ما نلقنه إياه من أول مرة.

تحسن فهم الطفل لذاته مال إلى الشعور بالاستقلال والاعتزاز بما لديه، ومال إلى المبادرة وتحمل المسؤولية، وهذا ما نحتاج إليه أشد الاحتياج في أوضاعنا الحالية. دعونا نشجع الأطفال على التعبير عن أنفسهم وعن احتياجاتهم، ودعونا نتيح لهم فرصة للاختيار في كل شؤونهم، فإذا اختاروا احترمنا اختياراتهم.

إن المربي الجيد يساعد من يربيه على الإحساس بالكرامة الشخصية، وعلى تكوين المغزى الشخصي الخاص، أي بلورة ما تعنيه القيم والمبادئ والأحداث بالنسبة إليه، ولعلي أشير هنا إلى واجب المربين في مسألة تكوين الوعي الذاتي لدى الأطفال من خلال توضيح عدد من المفاهيم المتعلقة بشخصياتهم وذلك عبر المفردات الآتية:

إن أفضل طريقة للدفاع عن الأخلاق هي أن نتمثلها في سلوكنا اليومي

١- أول ما ينبغي ترسيخه في عقل الطفل، هو أنه أحد مخلوقات الله عز وجل كما أن حياته ومصيره في يده سبحانه فهو المتصرف في هذا الكون، وعلينا عبادته وطاعته والعيش على النحو الذي يرضاه لنا، ويجب أن يستمر العمل على ترسيخ هذه المعاني حتى نهاية الطفولة المتوسطة، أي إلى سن العاشرة، وبعد ذلك يكون التذكير بها حسب الحاجة.

٢- العمل على تشجيع الطفل على قبول ذاته، حيث إن في ذات المرء، وفي ظروف أهله وأوضاعهم أموراً يصعب، أو يستحيل تغييرها، ومن ثم فينبغي للصغير أن يتكيف معها، ويحاول الارتقاء والتحسن في إطار وجودها: لون البشرة، ومكان الولادة والأوضاع الاجتماعية والمادية للأسرة، بالإضافة إلى نسبها، وخلفيتها التاريخية.. كل هذه

الأمور يكون فيها عادة ما يعجب الطفل وما لا يعجبه، ومهمتنا أن نحفزه على أن يكون في الموقع الصحيح من كل ذلك وأعتقد أن هذه المهمة تتطلب أن نؤكد على المعاني الآتية:

أ- الأصل في الناس جميعاً أنهم متشابهون في الأمور الرئيسية، ويختلفون في الأمور الفرعية، كل الأطفال، لهم عيون وآذان وأفواه وأيدٍ وأرجل، وأعدادها متساوية لدى كل الناس، لكن لون العيون وحجم الآذان، وطول الأرجل يختلف من طفل إلى آخر..

ب_ نوضح للطفل أن من الطبيعي أن يولد بعض الأطفال في المدن، وبعضهم الآخر في المدن، وأن يكون أهل بعضهم فقراء، وأهل بعضهم أغنياء، كما أن من الطبيعي اختلافهم في الأنساب والأحساب وفي الأوضاع الأسرية المختلفة، فهناك أسر، انسجامها ووفاقها الداخلي أكبر من انسجام أسر أخرى..

يجب أن نعرف متى يكون الصمت هو أفضل شيء نفعله..

المراد من هذا أن نوضح للطفل نقطة أساسية، هي أنه ليست هناك وضعية لشخص أو لأسرة تعد مركزية، وغيرها هامشياً أو تعد أصلاً، وغيرها فرعاً أو صورة، وهذا مهم جداً.

ج _ نشرح للطفل بوسائل متعددة مسألة عقدية ومبدئية، هي: أننا مسلمون، وأن المسلم يعتقد أن هذه الحياة، هي دار اختبار وامتحان، وكل الناس ممتحن، الجميل بجماله، والقبيح بقبحه، والغني بغناه، والفقير بفقره، والذكي بذكائه، والغبي بغبائه.. المهم في نظرنا نحن المسلمين، ليس نوعية الابتلاء، وإنما النجاح في الابتلاء،

أي أن نتصرف التصرف الذي يرضي الله تعالى وأن نحقق أهدافنا المشروعة في إطار الأوضاع التي نحن فيها مع السعي المستمر لجعل تلك الأوضاع أفضل وأكرم.

د- هناك حقيقة مهمة وأصيلة تحكم كل جوانب حياتنا الشخصية والعامة، وهي أنه ليس هناك شيء بمفرده يحقق السعادة، كما أنه ليس هناك شيء بمفرده يحقق الشقاء، أيضاً ليس هناك شيء بمفرده يحقق النجاح أو الإخفاق أو العزة أو المهانة أو النصر أو الهزيمة.. وهذا حين نشرحه للطفل بأساليب وفي مناسبات مختلفة يمنحه درجة عالية من التوازن في نظرته للحياة، وعلينا أن نوضح للطفل أن المال وحده لا يحقق السعادة، وكذلك الصحة والجمال والنسب الرفيع والعلم والذكاء.. كما أن النقص في أي منها، لا يسبب بمفرده الشقاء أو الهزيمة أو الفشل... كل عامل من العوامل الإيجابية، يحتاج إلى مؤازرة العوامل الأخرى حتى يكون فعالاً، وكل عامل سلبي يكون أيضاً عاجزاً عن تدمير حياة الشخص إلا إذا انضمت إليه عوامل سلبية أخرى..

درب الطفل منذ سن الثالثة على القيام ببعض الأعمال المنزلية وينبغي أن يتم ذلك في إطار مبدأ: مساعدة الآخرين هو الشيء الصحيح الذي ينبغي أن نقوم به.

٥- علينا ألا نكتفي بالشرح النظري لأي (مفهوم) نريد إيصاله للصغار بسبب ضعف قدرتهم على فهم المعاني المجردة، وربما فهموا بشكل خاطئ، ولهذا فإن علينا ضرب الكثير من الأمثلة، والأولى دائماً أن تكون النماذج التي نشرحها قريبة جداً من الصغير: ابن عمتك فلان مع أنه درس في مدرسة ليست جيدة لكنه مع هذا

متفوق على أقرانه في الحياة ونقول له: ابن جارنا فلان مع أنه معاق إلا أنه الأول على زملائه، والأسرة الفلانية فقيرة لكنك تحسّ أن أولادها سعداء، وفي المقابل هناك أسر كثيرة، تملك المال لكن الشجار والنزاع شيء مستمر في حياتها وهكذا..

الشيء المهم الذي ينبغي أن لا نتجاوزه هو لزوم الحقيقة والبعد عن التهويل والمبالغة، فبعض المربين يبالغ إلى درجة قلب الحقائق، إذ إننا كثيراً ما نرى آباء ومعلمين يهونون من قيمة المال أو الذكاء أو الجمال أو الصحة.. من أجل رفع معنويات من حُرم من شيء منها من الأطفال إلى أن يصلوا إلى درجة جعل هذه الأشياء من غير أي قيمة، وفي المقابل فإنهم يضخمون أحياناً الآثار السلبية للفوضى أو الكسل أو العجلة أو النزق إلى درجة جعل الطفل يعتقد أنها أشياء تقصم الظهر! ستظل الأشياء الإيجابية إيجابية والأشياء السلبية سلبية، لكن أمام الصغار والكبار دائماً مجال لزيادة الإيجابيات ومقاومة السلبيات، ومجال لتجاوز بعض النقائص من خلال استثمار بعض الكماليات على نحو مركَّز، كما يفعل الشاب عادي الذكاء حين يستثمر المال الذي لديه في الدراسة في جامعة جيدة.

اختر لابنك قدوة من عظماء الرجال، وأطلعه على سيرته وساعده على اكتشاف خصائصه ومزاياه..

٣- جاء جميع الأنبياء عليهم السلام بفكرة محدودية الإنسان: فهمه محدود، إدراكه محدود، قدراته محدودة، سيطرته على أهوائه محدودة، وقدرته على التمتع بالأشياء أيضاً محدودة كما أن حياته ومدة بقائه على هذه الأرض محدودة، ترسيخ هذه الفكرة في وعي الأطفال مهمة

اليوم، لأن (العلمانية) تتحدث بوقاحة متناهية عن الإنسان الخارق والمكتشف القادر على كل شيء مما يولد روح التمرد لدى الأجيال الجديدة. نحن المسلمين نعتقد بمحدودية الإنسان لأن كل الوقائع تشهد بذلك، ويكفي أن نقول: إن كل ما بذل من جهد لإيقاف تدهور صحة الإنسان مع تقدم السن، لم يتمكن من إيقاف تحوُّل شعر الرأس إلى البياض، أو تحوُّل العضلات القوية إلى عضلات رخوة مترهلة..

فائدة ترسيخ هذا المفهوم لدى الصغير هي جعله يشعر بالعبودية والضعف أمام الخالق سبحانه وجعله يطلب منه المعونة والهداية والتوفيق، ومن وجه آخر فإن الطفل حين يتمثل هذه الحقيقة، يصبح أقرب إلى الواقعية، فهو يعرف أن المحدود لا يستطيع أن يتفادى ويتجنب كل الأشياء المكروهة والمرفوضة، ولهذا فإنه حين يخفق لا ييأس، ولا يقنط، وحين يجتهد فإنه يصيب، وقد يخطئ.

الأب المتفائل يجذب أطفاله إليه، على حين يبعدهم الأب المتشائم عنه

٤- الإنسان محدود وزائل وضعيف.. نعم لكنه ليس عاجزاً ولا قليلاً، إنه الكائن المكرم والكائن القادر على أن يفعل الكثير الكثير من الأمور العظيمة والخيرة والنافعة.

الأطفال مثل الكبار يميلون إلى الاقتصاد في بذل الجهد العضلي، وتميل عقولهم جميعاً إلى تصور الصعوبات والمستحيلات أكثر من ميلها إلى رؤية الأشياء الممكنة والسهلة، ومن هنا فإن من مسؤولية المربين تفتيح أذهان الأطفال على قدراتهم الكامنة والطاقات غير المستغلة، وهي

كثيرة وهائلة بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، ولدينا حقيقة ناصعة، تبعث فينا روح الرجاء، وهي أنه إذا كان للتقدم المادي - ومنه تقدم أجسامنا - حدود يقف عندها، فإن هناك إمكانية مستمرة لقول ما هو أحسن، وفعل ما هو أكمل. وفي الكتاب العزيز إيماءات تشجيعية وتحفيزية عديدة في هذا السياق منها قوله ﷻ:﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾[٢] وقوله﴿ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴾[٣]. مهما بلغ المرء من العلم فإن هناك من هو أعلم منه، فليحاول أن يتعلم منه، أو من غيره ليرتقي في مدارج المعرفة.

وإن الإنسان لم يقم بما افترضه الله تعالى عليه على الوجه الأكمل، وأمامه ميدان فسيح لإتقان أدائه وإصلاح عمله. المفهوم الأساسي الذي سنعمل على إيصاله للأطفال في هذه النقطة هو: إن هناك مسافة بين ما نفعله، وبين ما يمكن أن نفعله حتى إن أكثر الناس جدية وأعظمهم إنجازاً يستطيعون - إن أرادوا - أن يفعلوا ما هو أكثر وأجود مما يفعلون الآن، لنقل للطفل: إن ترتيبك عل مدرستك الآن هو الخامس، وتستطيع في الفصل القادم أن تكون الرابع، لكن هذا يتطلب منك كذا وكذا.. ويمكن أن تقول له: إن تعاملك مع أساتذتك يمكن أن يكون أشد لطفاً وأفضل تفاعلاً، وذلك إذا استخدمت ألفاظاً أكثر لباقة، وحاولت أن تجيب على كل الأسئلة

ليس من الملائم أن تلبس الأم أو تبدو وكأنها قريبة مما عليه ابنتها المراهقة.

٢- سورة يوسف:٧٦

٣- سورة عبس:٢٣

التي يطرحونها على الطلاب، ونقول للطفل أيضاً: يمكن أن تحسّن درجة إيثارك لإخوتك من خلال زيادتك في وقت قضاء حاجات الأسرة.. إن كل هذه التحسينات تحتاج إلى إرادة ومجاهدة، ولكن عواقبها جميلة في الدنيا والآخرة. المهم دائماً أن نشرح له الأساليب والوسائل التي تعينه على ما نشجعه عليه.

٥- بين أحكام العقل وضغوطات العواطف نوع من التداخل والاختلاف، وأعتقد أن الطفل في حاجة إلى مساعدتنا في وضع بعض الحواجز بينها، وأود أن أقرر ابتداء أن من الصعب أن تجد صغيراً أو كبيراً لا تتأثر الأحكام التي يصدرها والمواقف التي يقفها بالعواطف المتأججة في صدره، لكن تسليط نور الوعي على هذه المسألة يخفف من المشكلة: تحدث مشادة بين الطفل وبين أحد زملائه أو أبناء الجيران، ويقع بينهما شيء من النفور، وهنا يبدأ الطفل بالشكوى ممن جافاه، حيث يذكر كلاماً لم يقله زميله، أو ينسب إليه إساءات لم تقع منه، ويحب الطفل شيئاً، ويتعلق به، فيبدأ بذكر محاسن ليست متوفرة في ذلك الشيء، كما لو أحب أستاذه أو زميله، أو أحب نوعاً من الدراجات...

ليس من الصواب أن يختار الأب لابنه مستقبله وتخصصه الدراسي ولكنه يرشده ويشجعه ويدعم اختياره.

إن قدرة الطفل على ضبط عواطفه محدودة، مما يجعل وقوعه في الكذب سهلاً، كما يجعل اختلاط الحقيقة بالخيال لديه أمراً وارداً. نحن مطالبون ألا نسكت على ذلك، وإنما نراجع الطفل كلما أحسسنا بأنه يتكلم كلاماً غير واقعي، أو غير معقول، ونحثه على

التزام الصدق وتحري الحق والكشف عن الحقيقة. إن غفلتنا عن هذا قد تؤدي إلى حدوث تشوهات دائمة في نظرة الطفل للأشياء، وفي أسلوب تعبيره عنها.

٦- حين يرتكب الأطفال والمراهقون بعض الأخطاء الكبيرة، فإنهم كثيراً ما ينظرون إليها نظرة خاطئة، وذلك عن طريق إخراج الخطأ من مجاله، وتعميمه على كل جوانب الشخصية، وعلى سبيل المثال فإن الطفل- وكذلك المراهق - إذا سرُقت منه النقود التي أخذها من والده لشراء شيء من السوق، ثم أضاع دفتر واجباته المدرسية، وبعد مدة نسي أن عنده اختباراً شهرياً، فلم يستعد له، فأخذ فيه درجة متدنية، إن هذه الحوادث كثيراً ما تترك لديه انطباعاً بالإخفاق التام وعدم وجود أي استعداد لديه للنجاح أو التميز، ولاسيما إذا كان الطفل يعيش في بيئة تركز على أخطاء من هذا النوع، وتجعل من صاحبها مادة للسخرية. الصغار يعممون الخطأ والكبار أيضاً يعممونه، وكم سمعنا من الآباء من يقول لابنه: لا خير فيك، ولا مستقبل لك، وذلك بسبب رسوبه في مادة أو وقوعه في غلطة سلوكية، أو وقوفه موقفاً غير لائق!.

على المربي أن يتذكر دائماً أنه الطرف الناضج.

إن الشيء الذي علينا أن نطلبه من الصغار، ونطلبه من أنفسنا أيضاً، هو إدانة الخطأ، وليس إدانة الشخصية.. إن الطفل أو المراهق لا يستطيع اجتناب الخطأ، لكن المرء حين يخطئ مرة أو مئة مرة، لا يصبح شخصاً سيئاً أو منحرفاً، أو شخصاً لا يرتجى لأي خير أو امتياز، وحتى نقف

الموقف الصحيح، فإن علينا أن نجاهد أنفسنا ونضبط ألسنتنا، ونتجنب التهويل.. وإذا كان كل خطأ يجعل صاحبه سيئاً، فهذا يعني أن الناس جميعاً سيئون، لأنه ليس فينا اليوم من لا يخطئ.

٧- في شخصية كل واحد منا نقاط قوة ونقاط ضعف، وهذه النقاط قد تكون على مستوى الشكل، وقد تكون على مستوى القدرات والمواهب والطباع والأخلاق، وإن كثيراً من الناس يخرجون من هذه الحياة دون أن يكتشفوا تلك النقاط. الأبوان المثقفان يلمحان ما لدى أبنائهما من خصائص وميزات ونقائص، والمدارس بوصفها بيئات متعلمة ومثقفة، تستطيع أن تقوم بدور كبير في هذا المجال، وإن المسابقات واختبارات الذكاء والأنشطة (اللاصفية) تساعد مساعدة كبيرة في هذا الشأن. دلالة الناس على ما لديهم من ميزات منهج نبوي كريم، حيث إن لدينا العديد من الأحاديث التي أثنى فيها ﷺ على بعض أصحابه بذكر صفات بارزة فيهم، فأبو عبيدة أمين هذه الأمة، وخالد سيف من سيوف الله، وأبي أقرأ الأصحاب، وعمر الفاروق...

اصحب الأبناء إلى المسجد، ودرّبهم على المشاركة في الأعمال التطوعية والإغاثة...

إن تفوق الطفل قد يكون فيما يملكه من صبر وجلد على الاستمرار في العمل، وقد يكون في قوة ذاكرته، أو سعة خياله، أو قدرته على التحليل والتركيب، كما أن تفوقه قد يكون في دماثة خلقه وجمال طبعه.. أيضاً قد يكون لدى الصغير قصور في صفة أو أكثر من هذه الصفات، وواجب المربي تذكيره بنقاط قوته ومساعدته على صقلها

وتوظيفها، ومساعدته على تجاوز ما لديه من نقاط ضعف عن طريق التخلص منها أو عن طريق محاولة التعويض، وهذا حديث متشعب لا نريد الآن الخوض فيه.

٨- الشيء الأخير الذي أود التحدث عنه في قضية وعي الطفل بذاته هو موضوع (النقد الذاتي) فنحن بني البشر مفطورون على الوقوع في الأخطاء، كما قال ﷺ: ((كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون)) والبشر يقعون في أنواع الأخطاء بسبب الجهل أو الهوى، وحين نتوب إلى الله تعالى من أخطائنا وخطايانا، فهذا يعني أننا وضعنا أنفسنا في سياق الرجوع إلى الصواب، وسياق نيل المزيد من المعرفة، وهذا شيء عظيم. الأطفال يقعون في الكثير من الأخطاء بسبب عدم تبلور معالم الحق والصواب في أذهانهم بالقدر الكافي ومهمتنا مساعدتهم على تفهمها كلما وجدنا فرصة لذلك. ولعلي أشير في هذه المسألة إلى النقاط التالية:

ينشأ الكثير من التوتر والهيجان داخل الأسرة بسبب حدة مزاج بعض الأبناء وسوء ردود أفعالهم على توجيهات الأبوين ومبادرتها.

أ- تحتاج الأسرة كي تشجع صغارها على الاعتراف بالخطأ إلى إرساء تقاليد، تجعل من السهل على أي واحد من أفرادها أن يعترف بخطه، وأن يعتذر عنه أيضاً، وعليه تعوُّد استخدام كلمات مثل:(عفواً)، (آسف)، (لم أنتبه)، (لم أكن أعرف)، (أنا مخطئ)، (أنا مستعد لإصلاح ما أفسدته)، (سأفكر لماذا سببت لك الأذى) هذه الكلمات والتعبيرات حين تشيع في بيئة، يشعر فيها الصغار أن الكبار ليسوا مثاليين ولا معصومين، وليسوا معاندين أو مكابرين، ولهذا فإن عليهم أن يكونوا مثلهم.

ب- الأسرة مطالبة بأن تجعل من المفاتحة والمصارحة أسلوباً أساسياً في التعامل مع بعضها: الأب والأم يصارحان الأبناء والبنات، ويتحدثان معهم حول معظم الشأن العام الذي يخص الأسرة ويعوِّدان الصغار أيضاً أن يتحدثوا عن مشكلاتهم، وعما يجول في أعماقهم نفوسهم، هذه المصارحة تجعل الأهل دائماً في الصورة، وتقلل من حجم المفاجآت غير السارة التي قد تظهر بين الفينة والفينة بسبب أخطاء الصغار.

ج- لا ينبغي أن تكون عقوبة الأهل لأبنائهم شديدة وقاسية إلى درجة دفعهم إلى ستر الأخطاء والوقوع في الكذب أو الهروب من المنزل، فهذا قد يشكل بداية لانحراف خطير، ينبغي أن يعرف الطفل بأنه إذا صدق في حديثه مع أهله، وروى لهم الأحداث كما وقعت، فإن العقوبة ستكون أخف من العقوبة التي ستناله إذا كذب، أو نام خارج المنزل، أو قام بخداع أهله، وإذا أعطى الأب وعداً بعدم معاقبة الطفل إذا اعترف بخطئه، فإن عليه أن يفي بوعده كاملا، بعض الآباء يتعامل مع أبنائه بطريقة معكوسة، فهو يعاقبه إذا صدق، ويكافئه إذا كذب، لأنه لا يعرف كيف يكتشف كذب ابنه المراهق!.

من المؤسف أن كثيراً من الشباب والشابات، باتوا يعتقدون أن المال بمفرده كافٍ للحصول على السعادة.

د- قد تعودنا أن نسكت ما وسعنا السكوت، حتى إذا وقع أحد الأبناء في مشكلة عويصة صببنا جام غضبنا عليه، وبدأنا حملة قاسية من التقريع، وبعد مدة نتعب، ونمل، وننصرف إلى شؤوننا! المطلوب أولاً أن نكون قريبين جداً من أبنائنا ومتواصلين معهم حتى لا تقع أخطاء كبيرة على غفلة منا، وعلينا ثانياً عوضاً عن اللوم أن نُشعر

الطفل بأنه أخطأ وأساء، ثم نجلس معه لنفكر في إيجاد حل للورطة التي وجد نفسه فيها، ونفكر أيضاً في استخلاص العبرة من ذلك الخطأ أو تلك الخطيئة، ولا يكفي هذا، بل لا بد من التفكير في الاحتياطات التي على الطفل أن يأخذها حتى لا يتكرر منه نفس الخطأ. إن مبدأ التوبة والمراجعة وتسليط الضوء على أشكال القصور مبدأ من المبادئ الإسلامية والحضارية العظيمة، وهو يحتاج إلى تطبيق وتفعيل ليس في المجال التربوي وحده، وإنما في كل مجالات الحياة.

أشعِرْ الطفل أن من الطبيعي أن يمر عليه بعض الأيام العصيبة، فنحن في دار ابتلاء..

نقاط للتذكر:

١ - حب الوالدين للطفل، وتعاطفهما معه، وإشعاره بالأمن، من الأمور التي تترك تأثيراً ممتازاً في تكوين مفهوم الذات لديه.

٢ - من المهم أن نشجع الأطفال على المشاركة في المناقشات العائلية، وأن ندعم أسلوب التدريس الحواري في المدارس، لأن هذا يرفع من سوية فهم الأطفال لذواتهم.

علّم الطفل الفرق بين القول: أنا أولاً والقول: هذا دوري.

٣ - كل الأحوال التي يتقلب فيها الناس، سواء أكانت جيدة أم سيئة سارة أو محزنة.. هي أدوات اختبار في نظر المسلم، وينبغي أن نعمل على النجاح في ذلك الاختبار.

٤ - ليس هناك شيء بمفرده يحقق النجاح أو السعادة كما أنه ليس هناك شيء بمفرده يحقق الإخفاق أو الشقاء.

٥ - الإنسان محدود، ووجوده على هذه الأرض مؤقت، لكنه ليس عاجزاً ولا ضئيلاً، وقد كرمه الله تعالى وأعطاه إمكانات كبيرة لعمل الكثير من الأشياء العظيمة.

٦- هناك مسافة أبدية بين ما نفعله، وما يمكن أن نفعله، ومن المهم توعية الطفل بحيثيات تلك المسافة.
٧- ينبغي تدريب الطفل على التفكير الموضوعي، والذي يعني إصدار الأحكام بناء على معرفة جيدة، وبعيداً عن الأهواء والضغوط الخارجية..
٨- حين يقع أحد الأبناء في خطأ، فإن علينا إدانة الخطأ، وليس إدانة الذات.
٩- ساعد الطفل على معرفة نقاط التميز والتفوق لديه.
١٠- ينبغي أن نجعل النقد الذاتي جزءاً من أسلوب حياتنا الخاصة والعامة.

لا ينبغي أن يكون هناك فرق شاسع بين معاملة الطفل داخل المنزل ومعاملته على الملأ.

تدريبات وتطبيقات

- شجع ابنك المراهق على أن يتساءل باستمرار عن الأشياء الجيدة التي يستطيع القيام بها، لكنه لا يقوم بها.
- عوّد الطفل أن يعلل الإنجازات التي ينجزها، والإخفاقات يقع فيها، وساعده على ذلك.
- الإكثار من حمد الأبوين لله تعالى والثناء عليه والجهر بالاسترجاع عند المصيبة، يرسخ لدى الطفل عقيدة العبودية لله تعالى.
- اذكر أمام الطفل الأشياء التي لا يستطيع القيام بها من أجل ترسيخ فكرة (المحدودية) لديه.
- ينبغي أن تشتمل مكتبة المنزل على كتيبات تحكي السيرة الذاتية لعدد من عظماء الأمة، ولاسيما الذين نشأوا في ظروف صعبة.

حاول أن تنبه الطفل على المواقف التي يقفها نتيجة الانفعال والاستجابة للعاطفة بعيداً عن أحكام العقل..



٣

مبادئ حياتية عامة

إذا أردنا أن نؤسس عقلية الطفل على نحو صحيح، فلا بد لنا من أن نهتم بترسيخ عدد من المبادئ الجوهرية التي تمكنه من فهم طبيعة الحياة وطبيعة الأحياء، إذ إن فهم المبادئ العامة التي تتحكم بحركة الإنسان على هذه الأرض، والتي تتحكم بعلاقاتنا مع الآخرين، يساعدنا على تجنب الكثير من خيبة الأمل ويحمينا من الوقوع في كثير من الأخطاء الكبرى. أنا لا أستطيع في كتاب كهذا أن أتحدث عن كل المبادئ الكبرى للحياة، لأنها كثيرة، ولذا فسأختار منها ما أعتقد أنه الأكثر أهمية. إن التحدي الذي يواجه المربي هو العثور على أساليب سهلة يستوعبها الصغار، والعثور على الفرصة المناسبة للتحدث إليهم، إذ إن وجود المناسبة، يجعل استعداد الصغار لقبولها والتفاعل معها أكبر. وأعتقد أن المدارس أقدر من كثير من الأسر على شرح هذه المبادئ وإغنائها بالأمثلة والنماذج التي تقربها إلى أذهان الأبناء:

لا تكثر من قول: أنت صغير جداً على هذا الأمر.

١- مهما عرفنا، فيظل ما نعرفه قليلاً بالنسبة إلى ما جهله:

كم هو جميل أن نرى النهايات ونحن ما زلنا في البدايات، إن ذلك سيمنحنا درجة عالية من وضوح الرؤية، ودرجة عالية من التوازن. الطفل وهو في المرحلة الابتدائية لا يعرف عن حقائق الكون إلا أقل القليل، فإذا دخل مرحلة المراهقة صار عنده نوع من الجموح في المشاعر والتصورات وصار لديه قدر كبير ومبالغ فيه من الاعتزاز بما يعرف، ونحن لا نريد لأحد أن يشعر بالضآلة أو احتقار الذات، لكن نريد للصغار والكبار أن يعرفوا مدى صلابة الآراء التي يحملونها والأحكام التي يصدرونها على الناس وعلى الأشياء. القرآن الكريم يقرر ضآلة ما لدينا من معرفة حين يقول: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[1]. إن صلتنا بالكون قائمة على منافذ وأدوات إحساسنا به، أي عن طريق الحواس الخمس: السمع والبصر والشم والذوق واللمس وهذه الحواس محدودة الفاعلية، فنحن لا نعرف كثيراً مما يجري في بيت جيراننا ولا نعرف من حوادث الوجود المتجددة إلا أقل القليل، والذي لا يكاد يذكر، وهناك مخلوقات كثيرة لا تقع في مدى تناول أي حاسة من حواسنا، أضف إلى هذا أن في كل ظاهرة من ظواهر الوجود وفي كل مخلوق وكل قضية عناصر غيبية استأثر

شجع روح الدعابة والمرح لدى الطفل.

١- سورة الإسراء: ٨٥

الله تعالى بعلمها كما أن الحقيقة طبقات بعضها فوق بعض وكلما عرفنا طبقة برزت طبقة أخرى تحتاج إلى بحث وإلى تأمل حتى نعرفها. دعونا نشرح هذه المسألة للأطفال عن طريق طرح الأسئلة، حيث إننا نجد أن هناك حيثيات كثيرة ليس للسؤال عنها أي جواب. طفل في العاشرة من عمره، في يده كتابٌ يمكن أن نوجه إليه أسئلة كثيرة حوله وهو يجتهد في الإجابة، ويدور الحوار على النحو الآتي:

- ما اسم هذا الكتاب ومن مؤلفه؟ وكم عدد صفحاته؟

ينظر الطفل إلى الغلاف، ويقول: اسمه كذا، ومؤلفه هو فلان، ثم يقوم بتقليب صفحاته ليعرف عددها، ثم يخبرنا عنها

- هل هذا كتاب فقه؟

نعم.

- كم مرة طبع هذا الكتاب؟

لا أعرف.

طبع خمس مرات.

- كم شخصاً قرأ هذا الكتاب؟

لا أعرف.

ونحن أيضاً لا نعرف.

- كم شخصاً استفاد من هذا الكتاب؟

لا أعرف.

نحن أيضاً لا نعرف.

لا تفترض أن ابنك سيسير دوماً على خطاك.

◆ كم عدد الذين اشتروا هذا الكتاب، ثم شعروا بالندم على ذلك؟
لا أعرف.
نحن أيضاً لا نعرف.
أسئلة كثيرة يمكن أن نلقيها على الطفل حول ذلك الكتاب، ويجد نفسه عاجزاً عن الإجابة عنها، وهذا معنى قولنا: إن الحقيقة طبقات، وقولنا: إن في كل ظاهرة عناصر غيبية ليس في إمكان البشر معرفتها.
الموقف الموضوعي الذي يجب أن نعلمه للأطفال تجاه هذه الظاهرة الكبرى هو:
- التواضع لله تعالى والاعتراف بضعفنا ومحدودية علمنا.
- عدم ادعاء معرفة ما لا نعلمه.
- بذل الجهد لنحصل على أكبر قدر من العلم النافع.
- لن نعرف كل شيء، لكن نريد تقليل نسبة جهلنا.
- ما دمنا لن نستطيع تعلم كل شيء، فإن علينا إذن أن نتعلم ما هو أعظم أهمية وأكثر إلحاحاً.

على المربي أن يكون على سجيته مع من يربيهم فكونه مربياً لا يعني أن يدعي ما ليس فيه..

٢- لكل شيء طاقة على التحمل:

كل مخلوقات الله مهما كانت عظيمة وقوية تظل محدودة، ولها إمكانات محدودة، مهما كان بصر المرء حاداً، فإنه يرى الأشياء مادامت في مدى معين، ومهما كان سمعنا مرهفاً وقوياً، فإننا لا نسمع الأصوات إلا إذا كان مصدرها في حدود مسافة معينة وهكذا..

محدودية الطاقات والإمكانات لا تقتصر على الأجسام والمواد والأشياء المحسوسة، وإنما تتجاوزها إلى الأمور المعنوية أيضاً وحتى يتشرب الأطفال هذا المفهوم المهم، فإن علينا أن نسوق بعض الأمثلة، وهذه مساهمة صغيرة في ذلك:

أ- إن للحديد الذي نضعه في أعمدة الأبنية وأسقف المنازل طاقة محدودة على التحمل مهما كان ذلك الحديد غليظاً وثقيلاً وصلباً، وإذا حمّلناه فوق طاقته، فإنه سينحني في النهاية، ونفقد مع انحنائه ميزاته ووظائفه التي استخدمناه من أجلها، وهذا شيء ملموس ومشاهد.

لنتعامل مع أخطاء الصغار على أنها زلات من أشخاص طيبين.

ب_ للضمير والرادع الداخلي طاقة محدودة على التحمل، فنحن نمتنع عن كثير من القبائح بسبب ذلك الصوت النوراني الذي يجلجل في أعماقنا ناهياً ومحذراً من الوقوع في المعصية، وموبخاً على التفكير في الوقوع فيها، وهذا الوازع يختلف من شخص إلى آخر بحسب معتقدات المرء وبحسب التربية التي تلقاها، لكن الوازع ذو طاقة محدودة على العمل، كما أنه لا يشتغل إلا ضمن شروط معينة، وعلى سبيل المثال فإن كثيراً من الصغار والكبار يحرصون على الالتزام بالصدق وقول الحق، ويحاولون تجنب الكذب وشهادة الزور، والحقيقة أن المسلم حين يكذب، يؤنبه ضميره، بل إنه يحذره من خطورة الكذب عند مجرد همه به، حين يشعر طالب المدرسة – مثلاً – أن قول الصدق سيؤدي إلى طرده من المدرسة، أو يشعر الطفل أن الكذب سيجعله يفلت من عقوبة

قاسية، فإن كثيراً من الأطفال يجدون لأنفسهم المسوغ للإقدام عليه؛ إذن الضمير يضعف أمام ضغوط الخسائر والعقوبات، كما أنه يضعف أمام ضغوط المغريات، ومن هنا فإن التاجر الذي يعتقد أن الكذب في بيان سعر إحدى السلع لديه، سوف يجعله يكسب مبلغاً كبيراً من المال، يستهين بالكذب، ويقع فيه، وبذلك يفقد (الضمير) فاعليته، لأن قدرته على التأثير والردع تظل - على ذكرنا - محدودة.

أجب على أسئلة ابنك بأجوبة تتصف بالحكمة ولا تشعره أنه غير مهم.

ما الدرس الذي نلقنه للأطفال بناء على فهم هذا المبدأ؟

الدرس هو: أن على العاقل أن يحرص على عدم وضع نفسه في مواقف صعبة ومحرجة حتى لا يجد نفسه ضعيفاً، مما يجعله يستهين بالوقوع في الخطأ، وإلى جانب هذا فإن علينا أن نشرح للطفل أن الذي يستجيب للحسِّ الأخلاقي الذي لديه، يكون هو الرابح على المدى البعيد، وإن ظهر أنه خاسر على المدى القصير، وفي كل الأحوال فإن استجابة المرء لضميره والتزامه بأحكامه يعبر عن متانة تدينه وحسن تربيته وحسن عاقبته؛ بإذن الله.

أما الدرس الذي نستفيده نحن الكبار من مسألة محدودية طاقة الضمير على الردع، فهو عدم الضغط على الصغار، وعدم تشديد العقوبات عليهم إلى درجةٍ تجعل (الضمير) يتوقف عن عمله، بل علينا الالتزام بالرفق والمسامحة، وجعلهما الأصل الذي لا نخرج عنه في تربية الأبناء.

٣- لكل شيء ثمن:

هذه الحياة دار ابتلاء: ابتلاء بالنعماء والسراء، وابتلاء بالآلام والشدائد والكروب، ولهذا فإن كل واحد منا مبتلى ومختبر. من المهم أن يعي الأطفال هذه المسألة في وقت مبكر، لأننا نريد أن تدخل في التكوين العميق لعقولهم ونفوسهم بسبب أهميتها البالغة في توجيه السلوك، وتنظيم ردود الأفعال، يجب أن نوضح للأطفال أنه ليس هناك وضعية من الوضعيات، تحوز كلَّ الميزات، كما أنه ليس هناك وضعية، فيها كل العيوب والسلبيات، وإن أي وضعية نتمتع بإيجابياتها، علينا أن نكون على حذر من الوقوع في سلبياتها، ونظراً لتعقد حياتنا المعاصرة واشتداد المنافسة، وارتقاء متطلبات العيش الكريم، فإن الأشياء التي نحصل عليها مجاناً، تتناقص يوماً بعد يوم، فكما أننا أصبحنا ندفع قيمة مياه الشرب النقية اليوم، فربما وجدنا أنفسنا مضطرين إلى دفع ثمن الهواء النقي غداً، وسنذكر بعض الأمثلة التي تساعد المربين على توضيح هذا المبدأ:

> حين يغض المربي الطرف عن بعض أخطاء من يربيه، فإنه يكسب تعاطفه ويترك في نفسه نوعاً من المهابة له..

أ- حين ننعم بالراحة التامة، ونركب السيارة حتى من أجل قطع المسافات القصيرة، ونجد من يقضي لنا الحاجات حتى حمل الحقيبة الشخصية، فإن علينا أن نتوقع إصابة أجسامنا بالترهل، كما أن علينا أن نتوقع الشعور بمشاعر العوز والحاجة الكبيرة إلى الآخرين، مما يولد لدينا الشعور بالضعف والتبعية لغيرنا، ومنهم أولئك الذين يقومون على خدمتنا.

ب ـ حين نتمتع بألوان الأطعمة، ونأكل بشره وشهية من غير قيود، فإننا نشعر باللذة وشيء من النشوة، لكن علينا أن نتذكر أن هذا لن يكون من غير ثمن ولاسيما مع تقدم السن، حيث إن من المتوقع أن نصاب بالسمنة وزيارة الوزن والتي تجلب معها سلسلة من الأمراض الخطيرة.

ومن الملاحظ أن السمنة قد انتشرت بين الأطفال على نحو غير مسبوق، والمقاصف المدرسية توفر كل ما يفتح شهية الطلاب، وبعض ما يباع فيها ليس هو الأفضل لصحتهم، ولذا فلا بد من شرح هذا المبدأ وترسيخ مدلولاته لدى الناشئة، وتأسيساً على هذا المعنى قالوا: إنك لا تستطيع أن تعيش حياتك بالطول والعرض، أي إن الذي يرغب في حياة مديدة مع قليل من المشكلات الصحية، فإن عليه أن يضع العديد من القيود على تلبية رغبات جسده، وإلا فعلى الأرجح أنه سيعيش حياته بالعرض فقط.

شيء جيد أن نعبر لأبنائنا عن عواطفنا نحوهم حتى بعد أن يصبحوا كباراً.

ج ـ على الطالب حتى ينجح بتفوق أن يبذل جهداً مركَّزاً في دراسة المواد والمقررات التي سيُمتحن فيها، لكن هذا مكروه لدى معظم الطلاب، حيث يرغب كثيرون منهم في عدم قراءة أي كتاب، ويرغب بعضهم في المطالعة الحرة والمزاجية، وهم يستمتعون بذلك.

والحقيقة أن كل واحد منا يحبُّ أن يكون حراً في اختيار ما يقرأ، وليس الطلاب فحسب، لكن لممارسة الطالب لهذه الحرية ثمن، يجب أن يدفعه عن طيب خاطر، وهو الرسوب أوالنجاح بدرجات متدنية.

الخلاصة هي: أن الصغار والكبار على حد سواء، لا يستطيعون الحصول على كل شيء، ولهذا فإن علينا أن نعرف ماذا نأخذ، وبماذا نضحي، وإذا أخذنا شيئاً، أو اخترنا وضعاً معيناً، فإن علينا محاولة رؤية ما يترتب عليه من سلبيات، كما أن علينا محاولة تلطيف تلك السلبيات، والحد منها على قدر الاستطاعة، ومن وجه آخر فينبغي أن نوضح للأطفال أن لبلوغ المعالي ثمناً لا بد من دفعه، لكن اللذة التي سيجدونها، والمجد الذي سينعمون به سوف ينسيهم المتاعب والمشاق، وإن أعلى وأشرف ما نسترخص فيه البذل هو الفوز برضوان الله سبحانه وتعالى وإكرامه وفيوض بركاته.

بعض الآباء يوجهون النصائح لأبنائهم وهم غاضبون فيكونون كمن يرسم خطاً في الرمل!

٤- لا حدود لإشباع الرغبات:

هذا مبدأ يتصل بالطبيعة البشرية، فالإنسان ذو طموحات واسعة، لا تتوقف عند حدود، ومهما أُعطي من طول العمر، وقوة البدن، وجمال الشكل وكثرة المال ونفوذ الجاه.. فإنه يظل يتطلع إلى المزيد، وقد عبَّر عن هذه الحقيقة القرآن الكريم حيث قال سبحانه: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾[٢] كما عبر عنها النبي ﷺ حين قال: ((لو أن لابن آدم وادياً من ذهب لأحب أن يكون له واديان، ولن يملأ فمه إلا التراب، ويتوب الله على من تاب))

٢- سورة فصلت:٤٩

وقد قال أحد الحكماء: ((إن ما في الأرض من خيرات كافٍ لسد حاجات كل الناس لكنه ليس كافياً لتلبية رغبات رجل واحد)).
نحن الكبار في حاجة إلى استيعاب هذه الحقيقة والعمل بها، لأنها تحول بيننا وبين الاندفاع الأحمق نحو تكديس الثروات ومراكمة المنافع على حساب أشياء كثيرة مهمة. صغارنا أيضاً في حاجة إلى فهم هذه الحقيقة حتى تبدأ حياتهم بداية صحيحة، لنلقن الأطفال فكرة أن الشعور بالعوز نحو الكثير من مشتهياتهم يظل ملازماً لهم، وكل الأشياء التي يتطلعون إلى الحصول عليها ستبدو حين تصبح في حوزتهم أقل إمتاعاً مما كانوا يتوقعون، ولهذا فإن على كل واحد منهم أن يتناول مرغوباته باعتدال وبطريقة مشروعة.
إن الطفل ابن العاشرة يستطيع فهم هذا المبدأ بسهولة من خلال تذكيره ببعض الأشياء التي كان يظن أنه إذا حصل عليها، فإنه لن يطلب أي شيء آخر، وكيف أنه حين صارت في يده أخذ يتطلع إلى ما هو أكثر منها.

حين نسمح للطفل أن يدافع عن آرائه، فإننا نحسّن مستوى المحاكمة العقلية لديه

٥- معظم الأشياء والأحداث قابل لأن يُرى بطرق مختلفة:

الناس لا ينظرون دائماً إلى الأشياء والأحداث بطريقة موحدة أو مجردة وإنما ينظرون إليها من زوايا مختلفة ومنظورات متباينة، ولا يعني هذا - بالطبع - أن كل الناس على صواب في تفسير الأحداث وتحديد مواقفهم من الأشياء، وإنما يعني أن كثيراً من الحقائق ليس صلباً وواضحاً بالقدر المطلوب لتوحيد الرؤى والآراء حوله.

الغرض من هذه الفكرة هو مساعدة الطفل على تأسيس رؤية خاصة به ومساعدته كذلك على جعل أفكاره تتسم بالإيجابية والتفاؤل، كما أن استيعاب هذا المبدأ يجعل الطفل أكثر تسامحاً تجاه المخالفين. إن في إمكاننا شرح هذا المبدأ للأطفال بواسطة العديد من المقولات والأمثلة:

أ- كان عمر بن الخطاب ﷺ: يقول: ما أصابتني مصيبة إلا حمدت الله تعالى فيها على ثلاثة أمور:

الأول: أنها لم تكن في ديني.

الثاني: أنها لم تكن أكبر مما وقع.

الثالث: الثواب الذي أرجوه عليها.

إذا كنا معاشر الآباء نخطئ في فهم بعضنا بعضاً، فإن وقوع الخطأ في التفاهم مع الصغار يكون من باب أولى...

إنه ﷺ يعلمنا كيف نهوِّن الخطوب على أنفسنا من خلال الاعتقاد بأن الشر الذي يصيب الواحد منا مهما كان شديداً ومؤلماً، فإنه لن يكون هو الأسوأ، إذ هناك دائماً ما هو أسوأ، وعلينا أن نحمد الله تعالى على ما جرى حيث إنه لا يخلو من اللطف الإلهي.

إن كل مصائب الدنيا من فقد الأهل والمال وانتكاس الصحة وتفويت بعض المصالح يُعد هيناً أمام ما يمكن أن يتعرض له المرء في دينه من الوقوع في ضلالة أو الجناية على بريء.. وحين نفترض أن ما حلّ بنا بلغ الغاية في الشدة والإيذاء، فإن علينا أن ننظر إلى الثواب الذي أعده الله تعالى لأهل البلاء الصابرين من عباده المؤمنين، وكأن عمر يقول: إن المؤمن إذا صبر على ما أصابه تحولت المحنة التي تعرض لها إلى منحة، يتجلى فيها كرم الرب؛ جل وعلا.

ب_ قالوا: مصائب قوم عند قوم فوائد، ويمكن أن نقول: فوائد قوم عند قوم مصائب؛ حين تصطدم سيارتان، فإن صاحبيهما يتأذيان من ذلك، وينظران إلى ما حدث على أنه شر أو مصيبة، أما (السمكري) الذي سيتولى إصلاحهما، فإنه ينظر إلى ذلك على أنه باب رزق وفرصة لتشغيل عماله!

إن الأب الذي ينوء بنفقات أسرة كبيرة، قد يرى في إخراج ابنه الصغير من المدرسة لمساعدته في مزرعته أو متجره شيئاً ضرورياً، لكن الأقرباء والأصدقاء يرون في ذلك جناية على الصغير وعملاً مؤذياً على المدى البعيد، وما ذلك إلا لأنه ينظر من زاوية والآخرون ينظرون من زاوية أخرى. الأب حين يقسو على ابنه ويُنزل به العقوبة، يشعر بأن تحمله لمسؤولية التربية يوجب عليه ذلك، أما الأم والجدة والجيران، فقد يرون في أسلوبه غلظة غير سائغة وهكذا...

كن حازماً في تعليم ابنك الصواب من الخطأ، لكن لا تكن متجهماً...

إن الرسالة التي سنحرص على إيصالها للأطفال من خلال هذا المفهوم أوالمبدأ، هي أن المعايير التي يستخدمها الناس في تقويم الأشياء والأحداث والمواقف، ليست موحَّدة، وبالتالي فإنه إذا اختلف شخصان في تحليل حدث من الأحداث، فقد يكون الحق مع أحدهما، وقد يكون مع كل واحد منهما شيء منه، وقد يكون مع شخص ثالث، ولهذا فإن علينا أن نتعامل مع الاختلاف برحابة صدر، وكما أن نظرة الناس للأشياء والأحداث تختلف، فإن مصالحهم أيضاً تختلف، واختلاف المصالح شيء مشروع، والمهم دائماً أن نصل إلى مصالحنا بطرق مشروعة وغير عنيفة.

ج_المسلم الواثق بالله تعالى المؤمن بقضائه وقدره ورحمته بعباده، ينظم ردود أفعاله تجاه الأحداث المختلفة على نحو فريد ومغاير لما يصدر عن غيره، إنه حين يقع حدث يجد فيه الخير والنعمة، يشكر الله تعالى على ذلك، ويثني عليه، ويستخدم النعمة في مرضاته، وهو يعتقد أن تلك النعمة ابتلاء ابتلاه الله به، كما يعتقد أنه بالشكر، يؤهل نفسه لنيل نعمة جديدة، كما قال سبحانه: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾[٣] وحين تصيب المسلم مصيبة، يعتقد أيضاً أنها ابتلاء من الله تعالى، والنجاح في ذلك الابتلاء يكون بالاسترجاع والصبر والاحتساب، وحين يفعل ذلك فإن ما يتوقعه من رحمة الله ومثوبته يخفف من آلامه، ويشيع في أرجاء نفسه الأمل والاستبشار؛ وما أجمل قول الله تعالى في هذا المعنى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾[٤]

لا تتوقع من ابنك أن يجد حلاً لكل مشاكله، فالكبار أنفسهم كثيراً ما يعجزون عن ذلك فضلاً عن الصغار...

أما غير المسلم، فإنه في حالة النعمة، لا يعرف من الذي سيشكره، ولا يعرف كيف يستخدم هذه النعمة في مراضي الله، وحين يصاب

٣- سورة إبراهيم:٧

٤- سورة البقرة:١٥٥-١٥٧

بمصيبة فإنه يصبح نهباً للجزع والهلع، ويجد نفسه وحيداً في مواجهة الأهوال، حيث لا ناصر ولا معين.. والحقيقة أن موقف الإنسان المسلم في أمر الابتلاء موقف فريد كما دل عليه قوله ﷺ: ((عجباً لأمر المؤمن، كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له)) إذن يجب أن نوضح للأطفال أن علينا أن نركِّز على ردود أفعالنا على الأحداث، وليس على طبيعة الأحداث التي تقع، أي أن المسلم بشكره وصبره وحسن تصرفه يحيا حياة طيبة موصولة بالمزيد من كرم الله وإحسانه، وحين يفهم الأطفال هذه الحقيقة، فإننا نتوقع منهم أن ينظروا نظرة ايجابية متفائلة للحياة من حولهم، إننا حين نرى كأساً، قد ملئ إلى نصفه ماءً، فإن في إمكاننا أن نقول: إن نصف هذا الكأس فارغ، فنكون من جملة الذين يشكون، ويتأففون، ويمكن أن نقول: إن نصفه مملوء، فنكون ممن يفرح بالقليل، ويحاول تكثيره. المهم ألا نكثر من الشكوى أمام الأطفال حتى لا نبعث في نفوسهم الملل واليأس والإحباط، وندفعهم إلى رؤية الأشياء بمنظار أسود

الإسراف في منح الثناء يُفقده المعنى، ويفرغه من قوة الإثارة، ولهذا فالاعتدال دائماً مطلوب..

٦- صدمات الحياة تكون كبيرة، ثم تصغر:

هذه سنة من سنن الله تعالى في الخلق، حيث إن الناس يتوقعون الخيرات والمسرات وألوان المرفهات، ويستمدون كثيراً من مباهجهم من الآمال التي ينتظرون تحقيقها، فإذا حدث ما يخالف توقعاتهم تألموا وجزعوا،

لكن من الواضح أن البارئ - تباركت أسماؤه - قد زودنا بإمكانات هائلة للتكيف مع المصائب والآلام وكل المزعجات، وهذا من الأمور الملموسة، فالألم الذي نواجهه في اللحظة الأولى لوقوع الضراء، يكون في الساعة الثانية أقل، وفي الساعة الثالثة أقل وأقل، وهكذا يتراجع شيئاً فشيئاً إلى أن يتلاشى، وبعد ذلك ننظر إليه، وكأنه كان شيئاً طبيعياً، بل ربما أدركنا ما فيه من إيجابيات، ولهذا فالتماسك المطلوب من الواحد منا هو التماسك في لحظة وقوع المصيبة، وقد قال ﷺ: ((الصبر عند الصدمة الأولى))، وقال:((الصابر الصابر عند الصدمة الأولى))

لنتذكر دائماً أن التربية عمل شاق ومعقد، لكن ما يحملنا على الصبر والمثابرة هو ما نرجوه من ثواب الله تعالى ومجازاته..

وقد عبروا عن هذه الحقيقة بقولهم: (كل شيء يكون صغيراً، ثم يكبر إلا المصيبة فإنها تكون كبيرة ثم تصغر) إن الأطفال بسبب ضعف خبرتهم في الحياة يحتاجون إلى معرفة هذا المبدأ أكثر بكثير من الكبار، وكم سمعنا من الأطفال والمراهقين من يقول: لا أستطيع العيش دون صديقي فلان، ومن يقول بعد ظهور رسوبه في الامتحان: انتهى كل شيء، ولا أمل بعد اليوم، ومن يقول إذا لم يدخل التخصص الذي يحبه: الدراسة في غير هذا التخصص وعدمها سواء.

علينا أن نبين للأطفال أن الذين يقولون عند المصائب الكبرى: انتهى كل شيء، ولا معنى للحياة بعد اليوم، لا يحصون عدداً، لكننا نجد بعد مدة أن كل شيء قد عاد إلى طبيعته حين انخراط أولئك القانطون في دورة الحياة من جديد، وهكذا نحن جميعاً، وقد قالوا: إذا أردت أن تعرف المستقبل فانظر إلى الماضي، والماضي يقول لنا: رغبة الناس

في الحياة قوية جداً وقدرتهم على مواجهة الصعاب هائلة، وما يُظن أنه شيء لا يحُتمل في البداية، يظهر بعد مدة أن هناك من يصبر عليه ويتجاوزه بسهولة. ومن اللطيف في هذا السياق ما أشارت إليه إحدى الدراسات التي أجريت على مشلولي الأطراف الأربعة من أن ما يشعرون به من السعادة، لا يختلف كثيراً عما يشعر به الأشخاص العاديون، ولكن حين أعيدت الدراسة عليهم بعد عشرين سنة، وجِد أن شعورهم بالسعادة تراجع قليلاً، ربما بسبب كبر السن أو الملل أو زيادة الوزن.. الطفل حتى يستوعب هذا المعنى قد يحتاج إلى أن نذكر له بعض الحوادث التي اطلع عليها، وذلك كأن نذكِّره بما قاله فلان ابن الجيران حين رسب في الامتحان، وبما قاله ابن عمه فلان حين فقد أمه، وما قاله فلان من الأصدقاء حين فقد كل ماله.. إن كل أولئك عبروا عن مشاعر مفعمة باليأس والألم، لكن إذا نظر إليهم الآن، فسيجد أن كل شيء قد عاد إلى طبيعته.

ليست التربية عملية تعليمية، وإنما هي عملية تفاعلية فلننظر مع مكونات أي بيئة يتفاعل الأبناء.

٧- لا حلول كاملة في وسط غير كامل:

هذا المبدأ قائم على عدد من المعطيات والاعتبارات، من أهمها الآتي:

أ- طموحاتنا وأحلامنا واسعة جداً، فنحن نريد أن نحصل على كل شيء - كما أشرنا من قبل - ونود إذا وقعنا في مشكلة أن نتخلص منها على نحو كامل، وكأن شيئاً لم يكن، ونريد لإنجازاتنا أن تكون في القمة وخالية من كل الشوائب.

ب_ إذا كانت أخيلتنا جامحة، وإراداتنا طليقة، فإن قدراتنا محدودة:
فلان يحب الطعام، ويتلذذ به، ويود لو أنه جلس على كل وجبة ساعة وهو يلتهم الطيبات، لكن يجد بعد فترة قصيرة، أن معدته امتلأت، ولم يعد في إمكانه أن يتابع... وفلان يحب لعب الرياضة، ويتمنى أن لا يخرج من الملعب، لكن بعد ساعة أو ساعتين يجد أنه قد أصابه الكلل والإعياء، وهكذا...

ج_ نحن في هذه الحياة نتحرك في ظروف كثيرة، وكثير من هذه الظروف، ليس من صنعنا، ولا هو خاضع لسيطرتنا، **إن معظم الناس لا يستطيعون النوم في أجواء حارة جداً، ولهذا فإنهم يعمدون إلى تكييف غرف نومهم، أي يصنعون الجو الملائم لأجسامهم، وهم يعرفون أن انقطاع الكهرباء وارد في أي لحظة، حيث يشعرون آنذاك أن الأمور قد خرجت من أيديهم، وصار النوم متعذراً.**

حب الأبوين للطفل يدفعه نحو حب الآخرين وبذلك يكون إحسانهما مضاعفاً...

وهذا طالب اختار الدراسة في تخصص يحبه، وسجل اسمه في جامعة ممتازة، لكن وجد أن بعض زملائه في الفصل سيئون جداً، ووجد أن بعض أساتذته، لا يعدلون في إعطاء الدرجات، وجدا أن الجامعة قامت وهو في السنة الثانية بزيادة رسوم الدراسة، فأصبحت ثقيلة على والده، وصار ذلك يشكل مصدراً للنزاع الأسري. الرسالة التي نود إيصالها إلى الأطفال هي: أن على الواحد منا أن يوطّن نفسه للحلول المنقوصة والإنجازات المحدودة، والظروف المعاكسة.. إن الإيمان بهذا المبدأ، يحسّن في موقف الطفل من الحياة، وفي موقف

أهله منه، وعلى سبيل المثال، فإن الطفل قد يرسب في إحدى السنوات، وقد يُسرق منه شيء عزيز عليه، وقد يضيع منه المال الذي ذهب ليشتري به شيئاً لأسرته.. إن كل هذا قد يحدث، بل كثيراً ما يحدث، وحين يتكرر فإن الطفل يصاب باليأس والإحباط، وتصبح ثقته بنفسه ضعيفة، أما أهله فيغضبون عليه، وقد يُنزلون به العقوبة، لكن حين ينظر الإنسان إلى الأسباب، فإنه يجد أن رسوب الطفل قد يكون فعلاً بسبب كسله وإهماله، وقد يكون بسبب قصور بعض المعلمين في المدرسة، كما أنه قد يكون بسبب بغض الطفل لبعض المواد. إن هذا يتطلب منا أن نتفهم أسباب ما حدث، ونلتمس نوعاً من العذر للطفل، كما يتطلب منا أن نرفع معنوياته، وأن نساعده على تجديد الثقة بنفسه وعلى تجاوز الأزمة.

ليس من الصواب إطلاق صفة (الولد) أو (الصغير) على الابن بصورة دائمة...

٨- لا شيء يغني عن العمل:

هذا مبدأ عظيم جداً من مبادئ الحياة، وهو يعبر على نحو دقيق عن كيفية قطع المسافة الفاصلة بين ما هو موجود، وبين ما نسعى إلى تحقيقه، ومن الواضح أننا مهما تحدثنا عن أهمية العمل في حياتنا، فإننا لن نبلغ الإحاطة بها. إن الله عز وجل قد قرن في كتابه العزيز بين الإيمان، والعمل الصالح على نحو شبه كامل حتى يرسِّخ فضل العمل في نفوس المسلمين، ويرسِّخ أهمية الحركة وتجسيد المعتقدات في السلوك، ومن المشاهَد أن الذين يعتقدون شيئاً، أو يتحدثون عن

شيء، ويفعلون شيئاً آخر كثيرون، ككثرة الذين يقولون، ولا يفعلون أي شيء، والتحدي الذي يواجهنا جميعاً هو الارتقاء بأحوالنا على مستوى العبودية لله تعالى وعلى مستوى وضعيتنا العامة في هذه الحياة. السؤال المطروح هو: كيف نؤسس لأهمية العمل في عقلية الطفل؟ وكيف نجعل الإنجاز الملموس شيئاً قيّماً لديه وفي أسلوب حياته؟

لعل مما يفيد في الإجابة على هذا السؤال الأفكار الآتية:

أ- العمل متعة، حيث إن الإنسان حين يقوم بعمل شيء، ولو كان بسيطاً، يشعر بأنه حقق إنجازاً، أو قدَّم خدمة لمسلم، أو قضى له حاجة.. وهذا كله يولِّد لديه نوعاً من الثقة بالنفس، كما يجعله يشعر أنه ليس عالة، وأنه يشارك أهله وزملاءه في حمل بعض تبعات العيش المشترك، وهذا يشيع في النفس الراحة، بل يشيع شيئاً من المتعة والنشوة، ونحن نحتاج إلى ذلك في كل مراحل حياتنا. لنشرح للطفل مسألة أن الناس يقدِّرون الجهد الذي يبذله الأطفال في عمل نافع، ويحمدونهم عليه، ولنشرح له كذلك النظرة السلبية التي تصدر عنهم تجاه الأطفال الذين يستهلكون الخدمات دون أن ينفعوا أنفسهم أو غيرهم بأي عمل يقومون به.

لا يكفي أن نهتم بنوعية ما نقوله للطفل بل لا بد من الاهتمام بتوقيته وكيفية قوله..

ب_ العمل يخلصنا من ضغوط عدو مهم من أعداء السعادة والسرور، وهو الشعور بالفراغ، ويمكن أن نلفت نظر الطفل إلى العناء الذي يشعر به حين ينهي واجباته المدرسية، ويمل من اللُّعب

التي لديه، ولا يجد صديقاً أو قريباً يجلس أو يتحدث أو يلعب معه، كما يمكن أن نلفت نظره إلى بعض التصرفات السيئة التي تظهر في سلوكات بعض الأطفال نتيجة شعورهم بالفراغ.

جـ- إن السبب الأساسي للنجاح في هذه الحياة، يكمن في الجهد الذي نبذله؛ والله بلطفه وكرمه، لا يحرم أحداً من ثمرات جهده، حتى الكافر يجد ثمرة جهده في الدنيا، ويتولى الله شأنه في الآخرة. يمكن أن نذكر للطفل بعض الأمثلة لأشخاص ناجحين في دراستهم وأعمالهم نتيجة الاهتمام والجهد المتميز الذي يبذلونه، ونذكر له كيف أن هناك الكثير من الأشخاص الذين لا يحققون أي نجاح بسبب ميلهم إلى الكسل وضعف إنتاجيتهم. شيء آخر يحتاج الطفل إلى أن نذكّره به، هو أن النجاح مرتبط بالعمل والحركة وتنظيم الوقت والتعلم الجيد أكثر من ارتباطه بالذكاء والتفوق الذهني، والواقع أن من السهل دائماً على الأطفال أن يربطوا النجاح بالذكاء، ولا سيما أن الموروث الثقافي الشعبي، يؤكد على هذا المعنى، والطفل حين يفعل ذلك، يقطع عتب أهله عنه، إذا قصر في دراسته، أو تفوق أقرانُه عليه، لا يصح ونحن نشرح للطفل هذه الحقيقة أن نُنكر ما للذكاء والنبوغ من تأثير مهم في النجاح، وإنما علينا التركيز على أهمية العمل في التقدم والازدهار.

شجع الطفل على تكرار المحاولة، إذ قلما يصيب المرء النجاح من المحاولة الأولى...

د- حين يكون المرء في حالة كسل وبطالة، فإنه يغرق في الأحلام الوردية، وكأنه يعوّض من خلال الخيالات والأمنيات عن النشوة

التي يجدها في الإنجازات الحقيقية؛ ولدى الأطفال والمراهقين الكثير من الخيال الجامح الذي يدفع بهم بعيداً عن الواقع، بل عن الممكن، لكن عقب كل جولة من الأمنيات المجنِّحة يشعر الإنسان بالضآلة وشيء من الإحباط. العمل ينقل الأطفال، كما ينقل الكبار من مرحلة التطلع والاشتهاء إلى مرحلة الممارسة، ومع الممارسة يبدأ الشعور بأهمية الذات والمشاركة في صنع الواقع، وبهذا يتحقق أمران جيدان:

الأول: هو التخلص من الإحساس بالعجز، وذلك لأن العمل يجدد في نفوسنا الأمل بالازدهار وتحسن الأحوال.

الثاني: هو اكتشاف الإمكانات الذاتية، وهذا الأمر في غاية الأهمية لأن التجربة والممارسة هي أفضل سبيل للتعرف على المواهب والقدرات الكامنة، وكم من موهبة عظيمة ماتت مع صاحبها لأنه لم يُتح لها فرصة الظهور من خلال العمل، ولهذا فإن من مسؤوليات المربين حث الأطفال على الانخراط في مختلف الأنشطة وإتاحة الفرصة لهم ليجربوا الكثير من الأشياء.

ما نكسبه من خبرات ومعارف أهم مما نرثه من آبائنا من قدرات ذهنية

٥- نحن مطالبون بأن ندرب أبناءنا على أداء الأعمال الشاقة، حيث يجب أن يعرفوا أن الحياة ليست سهلة، فهناك التزامات داخل الأسرة، إذ إن على الأبناء والبنات القيام ببعض الواجبات المنزلية، كما أن على الأبناء مساعدة آبائهم في بعض الأعمال عند الحاجة. وفي المدارس يجب أن يتم إشعار الأطفال بجدية الدراسة، وأن النجاح بتفوق ليس سهلاً، أما الدرجات التامة وشبه التامة، فلا ينالها إلا

الطلاب شديدو التميز، وكل هذا من أجل تمليك الصغار عادات بذل الجهد الفائق. وهناك الكثير من الدلائل التي تشير إلى أن الذين يدرسون في مدراس جادة، يتعلمون الجدية، ويكونون جادين في أعمالهم فيما بعد؛ وإن الأسر التي تدلل أبناءها، والمدارس التي تتيح لطلابها النجاح السهل لا تنصح لهم، كما أنها لا تؤهلهم لمعاركة شدائد الحياة. لنحاول سؤال الطفل عن الأعمال والأنشطة التي يقوم بها يومياً، ولنحاول إرشاده إلى الانتظام في العمل وكيفية الاستفادة من أوقاته على وجه حسن، وسيكون علينا إلى جانب هذا أن نشجعه ونحفزه باستمرار، وأن نكافأه حين يعمل أعمالاً جيدة. إن التقاعس والكسل والإهمال، تشكل قواعد أساسية للفقر والإخفاق والتهميش، وينبغي التخلص منها بكل وسيلة.

لنشرح للطفل أنه لا بأس في أن لا يفهم كل شيء، فالكبار أيضاً لا يفهمون كل شيء...

٩- تغيير النفوس والسلوكات هو أساس كل تغيير:

هذا المبدأ قرآني، حيث يقول الباري عزوجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[٥] والحقيقة أن حب التغيير موصول بحب الإنسان للخير وكراهته للشر، وكأن الله تعالى يقول لعباده: إذا كنتم في نعمة، وأردتم دوامها فاثبتوا على إخلاصكم وصلاحكم وتقواكم، وفي المقابل فإنكم إذا كنتم في بأساء وضراء، فإن الطريق إلى الخلاص منها يكون بإصلاح أنفسكم وأعمالكم. وأنا ألاحظ أن البشرية

٥- سورة الرعد: ١١

استخدام وسائل الإيضاح يرفع مستوى الذكاء لدى الأطفال

كلما ازدادت نضجاً وفهماً للحياة، ازداد اهتمامها بالعنصر البشري في عملية التنمية، والعكس صحيح، أما الأطفال فإن فكرة التغيير بعيدة عنهم بسبب استغراق الأشياء المحسوسة لوعيهم وجذبها لكل اهتماماتهم، ومن هنا فإن المربي يحتاج إلى أن يوضح العلاقة التي تربط بين الطفل والبيئة من حوله، والعلاقة التي تربط بينه وبين الناس. إن الإسلام كما يحرّض المسلم على تحسين صلته بالله تعالى يحرضه على أن يسلك المسلك الصحيح تجاه المرافق العامة والمقتنيات الخاصة، وكل ما يحيط به، والمسلك الصحيح مع والديه وإخوته وأقربائه وزملائه، وكل من يلتقي بهم. إن الأطفال بحكم المرحلة التي يمرون بها، يلقون تبعات كل شيء على الآخرين، ويتوقعون منهم المبادرة نحوهم، فكلمة (أنت) تشكل أساس نظر الطفل لمن حوله، على حين أن الراشد يكون الأساس لديه هو كلمة (أنا) و(نحن). مهمتنا نحن المربين أن نغرس في عقول أبنائنا ونفوسهم قيمة تحمل المسؤولية تجاه غيرهم، إذ نستهدف جعل الطفل يشعر أن البداية في أمور كثيرة، يجب أن تكون من عنده. وهذه أمثلة على ذلك.

١- كسب رضوان الله تعالى يتطلب الالتزام بأوامره والكف عن نواهيه.

٢- تقبيل يد الأبوين عند الاستيقاظ من النوم وطلبُ الرضا منهما.

٣- السماح لأبناء الجيران أن يلعبوا ببعض الألعاب الخاصة بالطفل.

٤- تحسين العلاقة بالأساتذة، تتطلب الاجتهاد في الدراسة وكتابة الواجبات المدرسية على نحو جيد.

٥- إطفاء الأنوار عند مغادرة الغرفة.

٦- الاقتصاد في استخدام الماء في الوضوء والغسل وكل أنواع الاستخدام.

٧- عدم الكتابة على جدران المدرسة أو مقاعد الدراسة.

٨- المحافظة على صلاة الجماعة في المسجد.

٩- عدم إلقاء شيء من القمامة في الطرق والساحات العامة.

أشياء كثيرة في الحقيقة، يمكن لنا أن نتابع الطفل في شأنها مع الربط بينها وبين فكرة النهضة والتقدم والتغيير العام.

لا تكمن ميزتنا الأساسية في أن لدينا أدمغة، وإنها في كوننا نستخدمها..

نقاط للتذكر:

١ – مهما قرأنا، وتعلمنا، فيظل ما نعرفه أقل مما نجهله، وتوفير مزيد من الوقت من أجل القراءة هو الحل.

٢ – الحرية تعني القدرة على الاختيار، ولا تكون لدينا قدرة على الاختيار إلا إذا كان هناك بدائل، والعمل يساعدنا على إيجاد البدائل.

٣–كل شيء إذا همشناه خسرناه: العضلات والضمير والذاكرة والخيال، وإن زجها في خضم العمل يشكِّل إحياءً لها.

القارئ الجيد لا يقرأ كتباً كثيرة لكنه إذا قرأ كتاباً قرأه بطريقة جيدة..

٤ – لكل شيء طاقة على التحمل: الصداقة والقرابة والرادع الداخلي، ولا ينبغي تحميل أي شيء فوق طاقته.

٥ – لكل شيء ثمن، فقد انتهى زمان الأشياء المجانية، والمهم دائماً أن نعرف ماذا نأخذ وماذا ندع.

٦ – لا حدود لإشباع الرغبات وتحقيق المشتهيات، ومن ثم فلابد من الرضا والقناعة وتناول الأشياء باعتدال.

٧- معظم الأشياء يمكن أن يُرى بطرق مختلفة، فلنغلب الجانب الإيجابي في نظرتنا للأشياء وجانب التفاؤل.

٨- صدمات الحياة تكون كبيرة، ثم تصغر، ومن خلال الصبر والاحتساب والتوكل على الله تعالى نتغلب عليها جميعاً.

٩- رضا الناس غاية لا تدرَك، والعاقل من يلتمس لنفسه منهجاً قائماً على الحق بعيداً عن مداهنة الناس على حساب دينه.

١٠- لا حلول كاملة في وسط غير كامل، وذلك لأن إرادتنا طليقة، وما نريد إنجازه يخضع للعديد من القيود، ولذا فإن ما نحصل عليه كثيراً ما يكون أقل مما نطلب.

١١- من فضائل العمل أنه ينقلنا من مرحلة الأمنيات إلى مرحلة التنفيذ، كما أنه يساعدنا على اكتشاف الواقع واكتشاف أنفسنا.

١٢- تغيير النفوس والسلوكات هو أساس كل تغيير، وإذا استطعنا تغيير أنفسنا، فسيتغير معها العالم.

يشير كون أول كلمة تنزل على نبينا ﷺ هي كلمة اقرأ إلى أن الأساس في قيام هذه الأمة و الأساس في نهضتها هو القراءة والمعرفة، وهذا ما أثبتت تجارب الأمم صحته..

تدريبات وتطبيقات

- اسأل الطفل عن الأشياء الموجودة داخل الغرفة، لكننا لا نتمكن من رؤيتها أو لمسها.
- اطلب من الطفل أن يشرح ما الذي يفهمه من كلمة (حرية)؟ ثم

ناقش معه الأشياء التي نحتاج إليها حتى نشعر أننا أحرار.

- اجعل الطفل يعدد ميزات الجلوس في المقاعد الأمامية في الفصل الدراسي وسلبيات الجلوس في المقاعد الخلفية.
- اطلب من الطفل أن يتخيل أنه كبر، وأصبح مديراً لإحدى الثانويات الكبيرة، كيف يشجع الطلاب المتفوقين، وكيف يتعامل مع الطلاب المشاغبين؟
- اطلب من الطفل أن يذكر لك موقفين اضطر فيهما إلى الكذب خوفاً من العقوبة، وموقفين كان فيهما صادقاً ولو أدى ذلك إلى نزول العقوبة به.
- ناقش مع الطفل الفارق بين حاجاتنا الأساسية من الأكل والشرب، وبين ما يعد من قبيل الترف والرفاهية الزائدة.
- اطلب من الطفل أن يذكر لك نقاشاً دار بينه وبين زملائه حول مسألة معينة، وكان له معهم خلاف واسع.
- اجعل الطفل يصف لك مشاعره يوم علمه بنجاحه بتفوق في مدرسته، ومشاعره بعد ثلاثة أيام من ذلك.
- ناقش مع الطفل كيف يمكن جعل الدراسة في الفصول الدراسية شيئاً ممتعاً.
- اشرح للطفل الأمور التي تساعده على المثابرة.

إذا قمنا بتعاهد الطفل كما نتعاهد نبتة عزيزة علينا، فإن لنا أن نتوقع منه الكثير..

القسم الثاني

١- الطفـل المفـــكر
٢- أنــــواع التفكير
٣- تكــوين المفاهيم

1

الطفل المفكر

نحن الآن في عصر جديد بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، وقد كان الناس في الماضي يدركون من خلال الممارسة والخبرة اليسيرة ما الذي عليهم عمله من أجل إعداد أبنائهم للحياة على نحو عام، وإعدادهم لكسب لقمة العيش على نحو خاص، فقد كانوا - مثلاً - يرشدونهم إلى النباتات التي يمكن لهم أن يأكلوها، ويحذرونهم من النباتات السامة والضارة، وكانوا يعلمونهم كيف يحرثون الحقول، وكيف يجنون المحاصيل منها.. أما اليوم فإن مجتمعاتنا قد انتقلت إلى وضعيات جددية كل الجدة، فدور الجهد العضلي في بناء الحياة وازدهارها، وفي الحصول على المال آخذ في التراجع شيئاً فشيئاً لمصلحة الجهد الذهني والمعرفي، فالنفوذ اليوم - وغداً بمشيئة الله - لأولئك الذين يعرفون أكثر، ويفكرون بطريقة أسلم، ومن هنا فإن من واجبنا في البيوت والمدارس ووسائل الإعلام أن نقوم بمساعدة

شعور الصغار والكبار بالحاجة إلى التشجيع والتقدير يدل على أنهم غير متأكدين من معرفة خصائصهم وفضائلهم الشخصية، وغير متأكدين من المكانة التي يحتلونها في نفوس الآخرين..

الأطفال على استخدام ذكائهم ومواهبهم ومهاراتهم العاطفية والاجتماعية، ومساعدتهم على اكتساب عادات القراءة الجيدة، وذلك من أجل التعايش مع التحديات والمشكلات الجديدة على المستوى الشخصي والأسري والاجتماعي، ومن أجل تحقيق الذات والارتقاء في مجال العمل.

إن التفكير يشكل السلوك الإنساني الأشد تعقيداً، وهو عمل شاق جداً، ولهذا فإننا نتجنبه، ونبتعد عنه قدر الإمكان. التفكير هو ذلك النشاط العقلي الذي يحدث حين يحل المرء مشكلة من المشكلات، أو هو تلك العملية العقلية المعرفية الوجدانية التي تستهدف الانتقال من المعلوم إلى المجهول، فالرجل الذي تراكمت عليه الديون - مثلاً - يجلس، ويحصر الديون التي عليه، ويرتب أولويات سدادها، ويحاول تقدير موارده خلال المرحلة القادمة.. يمارس التفكير ويشغِّل عقله من أجل معرفة كيفية التخلص من ديونه في أفضل ظرف ممكن. ومن الملاحظ أنه يكون لديه معطيات معينة، ومعلومات ثابتة أو مظنونة، وهو يشغِّل عقله من أجل الوصول إلى شيء لا يعرفه حين بدأ التفكير. إن الإنسان وهو يفكر يستخدم الإدراك والتخيل والتذكر والتجريد والتعميم والتمييز والمقارنة والاستدلال.. ونتائج تشغيل هذه الورشة الذهنية متوقفة على ما تتمتع به هذه القدرات من نضج وقوة، وعلى طريقة استخدامها، كما أنها متوقفة على صحة المعطيات التي جعلنا منها مادة لاشتغال العقل عليها، ولهذا فقد نحصل من

> لن يحدث التغيير المطلوب في حياة الناس إلا إذا تجاوزوا الأفكار النظرية إلى إحداث سلوكات ايجابية جديدة في حركتهم اليومية...

وراء التفكير على معرفة قيمة وممتازة، وقد نحصل على معرفة مشوبة بالغلط وسوء التقدير، وقد لا نحصل على أكثر من الأوهام!.

قد يستغرب بعض الناس من وصفنا الطفل بـ(المفكر) لأنهم يظنون أن الأطفال غير مؤهلين للتفكير بطريقة جيدة، وهذا غير صحيح، فالمسألة منوطة بطريقة التعليم التي يتلقاها الأطفال في المدارس، ومنوطة بما يمكن أن يتلقوه من تدريب على التفكير الجيد. ومن أجل توضيح أثر التدريب في ترقية التفكير وتحسين المحاكمة العقلية قام أحد المعلمين في مدرسة ريفية بتكوين مجموعتين من الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين عشر سنوات وإحدى عشرة سنة، وطرح عليهم مناقشة اقتراح «منح الأطفال أجراً أسبوعياً من أجل ذهابهم إلى المدرسة». وكانت كل مجموعة تضم خمسة أطفال، وكانت إحدى المجموعتين قد أخذت عشرة دروس في التفكير مع مدرس متميز جداً، أما المجموعة الثانية، فلم تأخذ شيئاً، وقد انتهت المجموعة الأولى بعد نقاش عقلاني وواقعي إلى أن الأطفال لا يستحقون أموالاً تُصرف إليهم من أجل التوجه إلى المدرسة، كما أنه ليس هناك مصدر يستطيع دفع تلك الأموال الطائلة.

شجع دائماً الانسجام والمنطقية في تصرفات الطفل ونبهه على المفارقات السلوكية..

أما المجموعة الثانية (غير المدربة) فقد انتهت بعد النقاش إلى القول: إذا تقاضى المعلمون مالاً، فيتعين أن يتقاضى التلاميذ كذلك، وهذا بسبب أن التلاميذ يبذلون جهداً أكبر من الجهد الذي يبذله المدرسون!.

إن بعض الدراسات يشير إلى أن الأطفال بدءاً من سن التاسعة،

يستطيعون تقريباً مناقشة أي مشكلة إذا تلقوا التدريب المناسب.
المشكل على صعيد التأسيس لعقلية (الطفل المفكر) أن الأسر وكذلك المدارس تشعر بأنها في عجلة من أمرها، وأنه ليس لديها الوقت الكافي لمساعدة الأطفال على التأمل والنظر في خلفيات الظواهر التي يعايشونها، كما أنها لا تشعر بالمسؤولية عن جعل الصغار يفكرون بطريقة صحيحة، وهذا في الحقيقة امتداد للتربية القديمة التي تحبذ للصغار أن يكونوا سلبيين، وعلى درجة عالية من الخضوع العقلي. إن مهمة الصغار في التربية الموروثة عن عصور الانحطاط، هي اختزان أفكار الكبار على أنها معايير للخطأ والصواب والخير والجمال...، ومن هنا فقد كف الصغار عن التفكير وعن محاولات التخمين في وجود أجوبة متعددة للأسئلة المثارة حولهم، أو التي يثيرونها هم من تلقاء أنفسهم، وهذا يؤدي طبعاً إلى ضمور قدراتهم على التفكير وفهم الجذور والخلفيات، والربط بين الظواهر المختلفة. ونحن نعرف أن كثيراً من مدارسنا وجامعاتنا، تحرص على تقديم المعرفة لطلابها جاهزة ومعلبة دون أن يكون لهم أدنى جهد في بلورتها، أو يكون لهم أي جهد في ربطها بالواقع اليومي!.

إني أعتقد والتاريخ يؤيدني أن الرجل الواحد في وسعه أن يبني أمة إذا صحت رجولته.. (ابن الساعاتي)

إن أفضل ما يقدمه الكبار للصغار، هو مساعدتهم على إنارة عقولهم، ليس عن طريق القصص والحكايات والمعارف الصحيحة فحسب، وإنما عن طريق تدريبهم على التأمل وطرح الأسئلة، وتقديم المقترحات، وتعويدهم عدم القناعة بظواهر الأمور، وحملهم على

الغوص فيها وراء هذا الظاهر الذي يبدو لهم، وحثهم على اكتشاف الأنماط العقلية التي تستند إليها المقولات المختلفة. إن تحسين النشاط الذهني وتحسين سوية الحكم العقلي الذي يصدره الصغار - يمكن أن يتم في المرحلة المتوسطة والمرحلة الثانوية، لكن لابد من القول: إن تحسين المهارات الإبداعية، كلما كان في سن مبكرة كان أفضل، مع أننا نشاهد من الطلاب من يطرأ على قدراته الإبداعية تطور قوي جداً ولافت، وهو في المرحلة الثانوية، وذلك حين يدرس في مدرسة ممتازة، أو يتعرف على زملاء متفوقين.

ليست الأمة الفقيرة هي الأمة التي لا تملك الكثير من المال، لكنها الأمة التي يتلفت صغارها يمنة ويسرة، فلا يجدون حولهم إلا رجالاً من الدرجة الثالثة!

خصائص الطفل المفكر:

لسنا في حاجة إلى القول: إن كل الأطفال وكل الكبار يمارسون التفكير في كل يوم مرات عديدة، إن لم نقل: إنهم لا يكفون عن التفكير ما داموا في حال اليقظة، إذن ما معنى الحديث عن الطفل المفكر وخصائصه ما دام الجميع يفكرون؟ نحن لا نريد من التفكير هنا ذلك اللون من تشغيل العقل من أجل تسيير الحياة اليومية الاعتيادية، وإنما نريد به ذلك النشاط العقلي الذي يمارسه النابهون والممتازون من أجل كسب المزيد من المعرفة ومواجهة المشكلات الصعبة وإبداع وسائل جديدة لجعل الحياة أسهل وأكثر أمناً.

إن كثيراً من خصائص الطفل المفكر الذي سنتحدث عنه يكون في الأصل عبارة عن قابلية واستعداد، وبفضل التربية الأسرية الجيدة

والتعليم المدرسي المتميز، تتحول هذه القابلية إلى سمات مؤثرة في ممارسة الطفل للتفكير، وتجعله بالتالي مختلفاً عن أقرانه، ولعل من

أهم تلك الخصائص الآتي:

١- الترحيب بالجديد:

لا أحد ممن يعتد بهم، يقول: إن كل جديد جيد، فالجديد لدى كل العقلاء، قد يكون جيداً وقد يكون سيئاً، لكن بما أن الطفل المفكر، يحب التقدم، ويحب التغيير، ويكره الجمود، فإنه يرى في الجديد فرصة سانحة لتحقيق شيء من ذلك، ولهذا فإنه حين يطرح الأب أو المعلم فكرة جديدة، أو يتحدث عن أسلوب جديد، أو يذكر معلومات جديدة عن شيء مهم، فإن الطفل المفكر يبدي اهتماماً كبيراً به، ويحاول استيعابه والاستفادة منه، على حين أن الطفل غير المفكر أو الطفل العادي يخاف من الجديد أو يقف منه موقف المتشكك أو غير المبالي، وبالتالي فإن نموه الفكري، يكون بطيئاً، ونحن معاشر المدرسين، نجد في كل فصل دراسي مكوّن من ثلاثين طالباً أربعة أو خمسة يتفاعلون بقوة مع الأفكار الجديدة، أما الباقون، فإنهم يظهرون - مع الأسف - بمظهر غير المكترث، أو غير المستوعب لما يقال، ولهذا أسباب عدة يطول شرحها. ومما أود التنبيه عليه، هنا أنني لا أذكر ما أذكره من خصائص الطفل المفكر من باب التوصيف والتعريف، وإنما من باب تشجيع المربين على الاهتمام ببلورة هذه السمات، وتحفيز الأطفال على التخلق بها.

إذا أدار المرء وقته بشكل جيد، فإنه يجد دائماً وقتاً لمزيد من التعلم ووقتاً للترفيه والترويح عن النفس..

٢- التسامح مع الغموض:

يحتاج أبناؤنا، إلى من يعلِّمهم التفاعل مع الأفكار الغامضة والمواقف الصعبة، فالطبيعة البشرية، تميل إلى السهل الواضح، وتنفر من الصعب الغامض، وذلك رغبة في الاقتصاد في الجهد، لكن الصحيح أن عقولنا لا تكبر، وأفكارنا لا ترتقي إلا من خلال مواجهة التحديات والمشكلات، التي تتطلب منها نشاطاً غير عادي، وإن للمعلمين الدور الأكبر في هذه المسألة، حيث إنهم يستطيعون تدريب الطلاب على تصور بعض النماذج الغامضة واكتشاف خصائصها، ومن ثم قولبتها وتنظيمها؛ وعلى سبيل المثال فإنه يمكن للمعلم أن يشرح للطلاب خصائص (الإنسان العاطفي): كيف يفكر، كيف يتصرف، كيف يتعامل مع الأحداث المؤلمة، كيف تكون علاقته بأصدقائه، إلى أي مدى يمكن أن يكون موضع ثقة ممن حوله، ما نوعية المشكلات التي يواجهها نتيجة سيطرة عاطفته عليه..؟ بعد هذا يطلب من الطلاب أن يحاولوا بلورة نموذج لأشخاص آخرين، مثل (الشخص الشحيح)، (الشخص الجبان)،(الشخص المتهور)، الشخص الشديد المثالية)، (الشخص القلق)، (الشخص الشكاك).. ثم يقوم المعلم بمناقشة هذه النماذج وخصائصها مع طلابه، لكن عليه ألا يستهدف الاتفاق على أي نموذج، لأننا نريد لكل طالب أن يمارس فرديته، ويتلمس الأفكار الإبداعية التي صدرت منه؛ وقل مثل هذا في قراءة الكتب الصعبة، حيث إن معظم الأبناء، يميلون إلى قراءة الكتب

> حين نتطوع للتفكير عن الطفل، ونقوم بحل مشكلاته بالنيابة عنه فإننا ندفع بإمكاناته الذهنية في طريق الخمول والضمور..

السهلة التي يفهمونها بكل يسر، وبالتالي، فإنها لا تُحدث أي اهتزاز في خبراتهم وأنساقهم الفكرية بسبب استيعابهم السابق لما فيها. ومن هنا فإن علينا تشجيع الطلاب على قراءة الكتب التي تتحداهم، والطلب منهم تلخيصها واستخدام تعبيراتهم الخاصة في شرح مرادات مؤلفيها، كي يشعروا بأنهم صاروا أصحاب دور واضح في نقل المعرفة والإضافة إليها.

٣- التروي والأناة:

من أعدى أعداء التفكير المثمر العجلة والرغبة في الوصول إلى نتائج سريعة، وقد قالوا قديماً: إن الحرب تحتاج إلى الرجل المكيث، وهكذا التفكير يحتاج إلى من يجلس الساعات وهو يتأمل في المعلومات والمعطيات التي لديه، وكلما وجد ثغرة فيها، سارع إلى جمع معلومات أكثر، كي يشعر أنه أحاط بالقضية على وجه حسن، وبعد ذلك يبدأ بتشغيل ما لديه من قوة ذهنية، وذلك بغية الوصول إلى أفضل الحلول وأفضل النتائج.

النفوس الكبيرة تبتهج بالحق، وتحترم الحقيقة..

صفة (الأناة) هذه، قد لا تكون موجودة لدى كثير من الصغار، فطبيعة المرحلة العمرية لدى الأطفال، تجعلهم يملون بسرعة من الانشغال بشيء واحد، وتدفعهم نحو الانتقال من موضوع إلى آخر، وهنا يبرز دور المعلم المدرب، حيث إنه من خلال سلوكه المتأني في التعامل مع طلابه، ينمي لديهم هذه الفضيلة، إنه يفكر أمام طلابه

بصوت مسموع، ويُظهر طول النفس في تقبل النقد، والاستماع إلى الملاحظات الغريبة، ويصبر على ما يبدو أنه نقاش عقيم، ومع هذا كله فإنه لا يقف مكتوف اليدين أمام اندفاع الطلاب نحو إنهاء المناقشة واستخلاص النتائج، إنه ينادي في طلابه: إننا ما زلنا في مرحلة جمع البيانات، إن معلوماتنا لم تكتمل، من منكم لديه اقتراح إضافي؟ من منكم لديه معلومة جديدة؟ وهكذا يكتسب الأطفال والمراهقون عادات التفكير المنتج من خلال الانخراط في عمل تفكيري جماعي، يقوده المعلمون الأكفاء.

ينتشر التهويل وتضخيم الأمور في مجتمعاتنا اليوم كما ينتشر السرطان في الجسم، وعلينا أن نتعلم كيف نضع حدوداً لذلك.

وحتى نرسخ فضيلة الروية والأناة لدى الأطفال فقد نكون في حاجة إلى أن ننمي في نفوسهم وعقولهم الاستعداد للتجريب والصبر عليه. إن الحل أو الشيء المرغوب الذي نبحث عنه، لا يرفع الأقنعة عن وجهه من أول محاولة بل من المعروف أن الأفكار الجيدة كثيراً ما تتوارى إلى أن نستنفد الأفكار والحلول الرديئة. إن التجريب يعني فيما يعنيه اختبار النظريات واختبار الأفكار والأساليب والأدوات، كما نختبر نوعية التفاعل الذي يحدث حين نخلط عدداً من العناصر الكيمائية مع بعضها، والاختبار كثيراً ما يجر وراءه اختباراً ثانياً وثالثاً ورابعاً.. مما يعني أنه لا بد من التحلي بفضيلة الاستقصاء وسبر أغوار الأشياء، و إن المدارس هي المسؤولة عن التربية على هذا، وهي المسؤولة عن التدريب عليه، وهذا يتطلب الإكثار من الورش والمعامل والمختبرات إلى جانب تنشيط جلسات العصف الذهني داخل الحجر الدراسية.

٤- الميل إلى الاستقلال:

إن الله ﷻ جعل كل واحد منا عبارة عن مخطوطة فريدة على مستوى العقليات والمشاعر وقسمات الوجوه.. لكن التربية التي تلقيناها، وقسوة المشكلات التي نواجهها، تجعلنا نلوذ ببعضنا كما يلوذ الطير ببعضه في أوقات الصقيع. نحن نلاحظ أن الطفل المفكر، والطفل الذي يجري إعداده كي يصبح مفكراً جيداً يميل إلى أن يكوّن رأيه المستقل وتوجهاته الخاصة؛ ولا شك أن الإنسان مهما كانت درجة عبقريته لا يستطيع أن يتجاوز كثيراً من المعطيات المعرفية السائدة في زمانه، كما أنه لا يستطيع الابتعاد عن الأعراف والتقاليد السائدة في البيئة التي يعيش فيها، لكن تظل هناك فروق واضحة بين الإمَّعة التابع، وبين الرائد السبّاق المبادر والمبتكر. ميول الطفل إلى إصدار الأحكام المستقلة وتكوين الرؤى الخاصة كثيراً ما تشكل مصدر إزعاج لأهله ومعلميه، حيث يظهر الطفل بمظهر العنيد المتكبر والمستخف بما لدى الآخرين والمعجب بما لديه، لكن من الواضح أن الاستقلال في فهم الأشياء وتقويمها، يرتبط بعدد من الصفات الإيجابية المرغوبة من نحو المبادرة وعدم الخوف من الوقوع في الخطأ والثقة بالنفس.. كما أن الميل إلى الاستقلال، يساعد المرء على التخلص من الصفات السلبية من نحو تجنب المخاطرة والاحترام المبالغ فيه لآراء الآخرين، والذي يُفضي إلى التقليد والجنوح إلى التقيد

> لو بذلنا من الجهد في اختيار مدارس أبنائنا مثل الجهد الذي نبذله في شراء سلعة معمرة، لحصلنا على نتائج تربوية كبيرة...

بالقواعد والعادات السيئة بقطع النظر عن مدى صلاحها.

إن الأسرة هي التي تضع اللبنات الأولى في أساس عقلية الطفل من خلال الجو الأسري الذي توفره، والأساليب التي تستخدمها في تربية أبنائها؛ ونستطيع القول في هذا السياق: إن الأسرة تستطيع أن تدعم ميول الطفل إلى الاستقلال من خلال السماح له بالاعتراض على الأمور التي لا تعجبه، ومن خلال إجابته على أسئلته وتشجيعه على مناقشة الأفكار التي يسمعها، وحين يقدم الطفل بعض الآراء الفجة والمرفوضة، فإنها لا توبخه، وإنما تشرح له بلطف وجه الصواب فيما يقول، ومن مهام المدرسة أن تكمل دور الأسرة في هذا، وذلك من خلال الخطوات والمواقف نفسها، ومن خلال عرض وجهات النظر المختلفة في القضية الواحدة، وتحفيز الطلاب على أن يرجح كل واحد منهم ما يراه منها، ثم يبدي المعلم وجهة نظره الخاصة، أو يشرح ما عليه أكثر أهل العلم أو أكثر الباحثين في تلك القضية. إن بعض المعلمين،لا يتركون أي فرصة للطالب كي يناقش، أو يسأل، كما لا يستحسنون منه أن يقدم أي وجهة نظر مخالفة لما يقررونه، وربما نظروا إلى سؤال الطالب لهم عن الأدلة على ما يقولونه على أنه تشكيك في مصداقيتهم أو في مقدرتهم العلمية، وهذا من الأمور التي ساعدت على ترسيخ الجمود والتقليد لدى كثير من الأبناء، ولكن يبدو أن هذه الوضعية آخذة في التحسن؛ بحمد الله تعالى.

كان ﷺ يحث أصحابه على التوبة ويقول: إني لأستغفر الله في اليوم أكثر من سبعين مرة...

٥- حب اللعب والمرح:

إن الطفل الذي يحب المرح، ويميل إلى اللعب مع الأصدقاء والزملاء، يكون في وضعية نفسية أفضل من الطفل الهادئ أو المنعزل أو الذي يُظهر قدراً زائداً من الجدية. لا شك في أن الضحك، يخفف من التوتر العصبي لدى الإنسان، ويفرّج بعض الكروب والهموم، كما أن المرح، يوجِد لدى صاحبه نوعاً من التفتح الذهني؛ وعلى سبيل المثال، فإنه حين يلقي أحد السمّار طرفة لطيفة، فإن الذين يتفاعلون معها بعمق وقوة، يكشفون أحياناً عن سرعة بديهة وأحياناً عن فهم المعاني المتوارية بين السطور، وعن قدرة جيدة على المقارنة، أضف إلى هذا أن اللعب يُكسب صاحبه الكثير من الخبرات التي تحسِّن المحاكمة العقلية لديه، فالطفل الذي يشارك في لعبة جماعية، يتعلم احترام القواعد المشتركة للعبة، كما يتعلم كيف يمتص أخطاء الآخرين بروح رياضية، ويتعلم التكيف إلى جانب محاولة التعبير عن السلوك الشخصي وفق منطق مقبول؛ ومن هنا ندرك معنى ما أثر عنه ﷺ من ممازحة الأطفال وملاعبتهم، وما أُثر عنه من ممازحة أصحابه ومباسطتهم على ما هو معروف ومشهور. في إرثنا الشعبي نوع من التقدير لوقار الطفل وهدوئه، وكأن الأبوين يخافان من أن تؤدي حركات الطفل إلى مشكلات كبيرة أو كسر بعض الأشياء النفيسة. وفي المدارس ينظر بعض المدرسين إلى الطفل كثير الحركة أو الميال إلى المزاح على أنه يفتقر إلى الجدية، وربما إلى إدراك حرمة

كلما كانت مهارتنا التربوية أعلى كانت حاجتنا الى استخدام العقوبة أقل..

المدرسة والمعلم وآداب طالب العلم، وهذا شيء خاطئ، فاللعب والمرح والتسلي والضحك أمور إيجابية وذات فوائد كبرى لعقل الطفل وروحه إذا ظلت في حدود الاعتدال.

نقاط للتذكر

١- كلما حدث تقدم أكثر، تراجع دور الجهد العضلي في تحقيق الثراء والازدهار، وصار التأثير الأكبر للمعرفة والإبداع والتفكير الجيد.

٢- إن ابن الحادية عشرة، يستطيع أن يفكر في مسائل معقدة إذا تلقى التدريب الكافي.

٣- من علامات الطفل المفكر الترحيب بالجديد والاحتفال به.

٤- تعليم الطفل التفاعل مع الأمور الغامضة، والاستجابة للتحديات الكبيرة.

٥- يحتاج الصغار إلى من يدربهم على الصبر والأناة في جمع المعلومات قبل إصدار الأحكام.

٦- شجّع الأطفال على أن تكون لهم رؤيتهم الشخصية، فيما يدور حولهم من أحداث، وشجعهم على مناقشة الأفكار التي يطلعون عليها.

٧- إن أفضل ما يقدمه الكبار للصغار هو مساعدتهم على إنارة

يكف الناس عن رصد كثير من الحقائق وكشفها بسبب عدم شعورهم بالحاجة إليها...

عقولهم عن طريق التأمل وطرح الأسئلة وتقديم المقترحات.
٨- ليس كل جديد جيداً، فالجديد قد يكون جيداً، وقد يكون سيئاً.

تدريبات وتطبيقات:

- ناقش مع الأطفال مسألة تقديس بعض الناس لكل قديم وقبول بعضهم الآخر بكل جديد مع بيان حيثيات خطأ كلا الموقفين.
- اطلب من الطفل أن يذكر أربعاً من النتائج السيئة التي تترتب على العجلة في اتخاذ القرارات.
- علم الطفل الفرق بين احترام الآخرين وبين تقليدهم في آرائهم.
- على المعلم أن يشجع الطلاب على الحل الجماعي للواجبات المدرسية، وعلى إنجاز المشروعات المشتركة.
- يطلب المعلم من بعض الطلاب إلقاء بعض الطرف والنكات المهذبة من أجل إضفاء المرح على الدرس الذي يقدمه.

نهدف من وراء معرفة سنن الله تعالى في الخلق إلى تجنب الاصطدام بها..

٢

أنواع التفكير

لدينا أكثر من أساس لتقسيم التفكير، فأحياناً يُقسَّم بناء على ملاحظة (الأزواج المتناظرة) ومن ثم فإننا نقول: (التفكير الإبداعي) و(التفكير التقاربي)، كما نقول: (التفكير التخيلي) و(التفكير الواقعي). وأحياناً يتم تقسيم التفكير بناء على ملاحظة الموضوعية والعقلانية، ومن ثم فإننا نقول: (التفكير العلمي) و(التفكير الموضوعي) و(التفكير المنحاز) و(التفكير الخرافي)... نحن هنا سنعرض بشكل موجز لبعض أنواع التفكير المهمة مع عرض كيفية مساعدة الطفل على ممارستها، وذلك في المفردات الآتية:

نقد الذات يخفف من إعجاب المرء بنفسه ويحفزه على التفوق على ذاته..

١- التفكير الإبداعي:

يمكن القول: إن التفكير الإبداعي عبارة عن نشاط ذهني منظم، يؤدي إلى نتائج وحلول تتصف بالجدة والأصالة. إذا كنا نطالب

بالتجديد، ونطالب بالنهوض والتقدم، فإن علينا أن نبدأ بوضع الأسس العقلية والفكرية والمعرفية التي تساعد الأجيال القادمة على إيجاد حلول للمشكلات الآسنة، وتلك التي يولِّدها العيش في عالم مكتظ بسكانه ومتزاحم على موارد محدودة، ومنفتح الشهية على الاستهلاك بشكل جنوني!. ومن وجه آخر، فإن المطلوب في القرن الحادي والعشرين ليس القراءة والكتابة والحساب، كما كان عليه الحال من قبل، وإنما المطلوب من الجيل الجديد أن يملك مهارات الاتصال والتقويم والتفكير الحاسم واستراتيجيات حل المشكلات ومهارات التنظيم والرجوع إلى المصادر واتخاذ القرارات في حالة وجود معلومات غير كافية، بالإضافة إلى القدرة على التعلم الذاتي... ومن أهم ما نقوم به من أجل كل هذا هو توفير بيئة، تساعد الناشئة على الإبداع والتجريب والكشف ورؤية الأشياء بطرق متعددة. إن تدريب الأطفال والشباب على التفكير الإبداعي، يعد بحق مهمة وطنية كبرى، تحتاج إلى استنفار كل الجهود وحشد كل الطاقات.

إن ما نعرفه يتضاءل في كل ساعة بالنسبة إلى ما لا نعرفه..

والحقيقة أن كل الأعمال التربوية الجليلة، تتكون في رحاب الأسرة، وتنمو برعايتها، ونلاحظ في هذا السياق أن الطفل حتى يبدع يحتاج إلى الشعور بشيئين أساسيين، هما الأمان والحرية، وهما يتوفران من خلال تعامل الأسرة مع أبنائها على أنهم كيانات فاعلة ومستقلة، مع تجنب إصدار الأحكام القاسية عليهم، مثل وصمهم بالغباء، أو عدم امتلاك الأهلية للنجاح، ولابد مع هذا من فهم عالمهم

الخاص وتفهم وجهات نظرهم. الطفل المبتكر يحتاج إلى بيئة يشعر فيها بالدفء والحنان من قبل الكبار مع الرغبة في صحبتهم طول حياته، ولا شك أن من العقبات التي تعترض الابتكار ما قد يلقاه الصغير من قمع الكبار لحريته في التعبير ومصادرتهم لتلك الحرية.

وقد أدان (انشتاين) في: (ملاحظات في السيرة الذاتية) الأساليب التربوية الخشنة والمتحكمة حين قال: « قد كان على المرء أن يحشو عقله بكل هذه المواد سواء أكان يحبها أم لا، وكان لهذا أثر، بلغ من سوئه أنني وجدت عندما اجتزت الامتحان النهائي أن النظر في أي مشكلات عملية، أمر بغيض مدة عام كامل». وقال متذمراً: « أما أن أساليب التدريس الحديثة لم تخنق حب الاستطلاع المقدس بعد فأمر يكاد يصل إلى حد المعجزة، فهذه النبتة الصغيرة الطرية تحتاج أكثر ما تحتاج إلى الحرية فضلاً عن الحوافز، ومصيرُها التلف لا محالة، إن لم تحصل على هذه الحرية، ومن الخطأ القاتل أن تعتقد أن متعة الرؤية والبحث يمكن أن تتعزز من خلال وسائل القهر والشعور بالواجب». قد نقلت هذا النص بطوله عن واحد من عمالقة القرن العشرين لعلنا ننهض لبناء مؤسسات تعليمية، توفر للمتعلم جواً يسوده التشويق والحرية عوضاً عن الهيمنة والرتابة.

في اللحظة التي تفارق فيها الورقة غصنها تبدأ في رحلة الذبول متجهة نحو الفناء.

ما يهمني في هذا الشأن هو ألا يعتقد الآباء والمعلمون أن الحديث عن الإبداع، هو حديث عن شيء ترفيهي أو كمالي أو شيء خيالي يصعب الوصول إليه، إن الأمة في حاجة ماسة إلى الإبداع والمبدعين لأنها

تعاني من تخلف شديد في معظم مجالات الحياة، والمبدعون هم الذين يعالجون مشكلاتها - على المستوى النظري على الأقل - ويفتحون أمامها طرقاً جديدة للازدهار. العالم كله في الحقيقة محتاج إلى الإبداع، وذلك من أجل أمرين أساسيين: الأول هو تأمين درجة من الحياة الطيبة لهذا البحر المتلاطم من البشر، والثاني هو إنعاش القيم العظيمة التي لا تستقيم الحياة من غيرها، والتي تساعد على إدارة العنف في زمان تشتد فيه المنافسة والأثرة إلى مستويات غير مسبوقة!.

أنا هنا لا أريد أن أتحدث عن تجليات التفكير الإبداعي لدى الأطفال، وإنما أود أن أشير إلى ما يمكن أن نفعله من أجل تأسيس العقلية المبدعة، وذلك من خلال المفردات الآتية:

((المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف))
حديث شريف

أ- الطلاقة مكون أساسي من مكونات التفكير الإبداعي، وهي تعني القدرة الجيدة على التوليد: توليد الأفكار وتوليد الكلمات والجمل والتعبيرات... ولا شك أن الذي يستطيع إطلاق مصطلح جديد يلقى الإجماع أو الاستحسان، والذي يستطيع اقتراح ثلاثة حلول لمشكلة عجز أقرانه عن المجيء ولو بحل واحد لها، أقول: لا شك في أن هذا يعد مبدعاً.

نحن في البيوت والمدارس محتاجون إلى تنمية (الطلاقة) لدى الأطفال عن طريق تكليفهم بالقيام ببعض الأمور، وعلى سبيل المثال، فإنه يمكن للأسرة في أوقات الفراغ أن تنخرط في بعض الألعاب التي تكشف عن الطلاقة لدى أفرادها، وتعمل على تحسين

مستواها، حيث يمكن للأم أو الجدة، أن تحكي للصغار حكاية صغيرة، وتطلب منهم وضع عنوان لها، كما يمكن من أجل تعزيز (الطلاقة الترابطية) أن يطلق الأب كلمة جديدة - مثلاً - ويطلب من الصغار أن يذكروا له الكلمات التي تدل على نفس معناها، وإذا كانت هناك بعض الفروق فإنه يشرحها، كما أنه يصحح لهم الأخطاء التي يقعون فيها. ويمكن أن يذكر كلمة (مستقيم) ويطلب منهم ذكر الكلمات التي تدل على معنى مضاد لمعناها. ومن أجل تعزيز (الطلاقة التعبيرية) يمكن أن يطلب الأب من ابنه الصغير أن يذكر أكبر عدد من الكلمات المكوَّنة من أربعة حروف شريطة أن تختلف في معانيها، وشريطة أن لا تستعمل أي كلمة مرتين. أما المدارس فإن لديها فرصاً أكبر للتدريب على التفكير الإبداعي، لكن بشرط أن يتوفر لدى المعلمين قدر جيد من الاهتمام بهذا الأمر.

((كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام.)) قرآن كريم

ب _ المرونة مكوّن مهم من مكونات التفكير الإبداعي، وهي تعني رحابة عقل الإنسان في رؤية الأشياء وتفسير الأحداث، والقدرة على تصور أكبر قدر ممكن من وظائف استخدام الأدوات بالإضافة إلى القدرة على إحداث تغييرات مهمة على الحلول المفترضة، وإن في إمكاننا أن نشرح فكرة المرونة للأطفال من خلال المثال الآتي:

لدينا حجر بحجم قبضة اليد، نستطيع أن نستخدمه في بناء جدار، كما نستطيع أن نستخدمه في زجر كلب يهجم علينا، كما يمكن أن نستخدمه كما نستخدم المطرقة، فندقّ به مسماراً في جدار، ويمكن أن

نضعه فوق مجموعة من الأوراق حتى لا تتطاير وهكذا.. نذكر هذا للطفل، ثم نطلب منه أن يضيف استخدامات أخرى للحجر زيادة على ما ذكرناه.

في البيت والمدرسة يمكن أن نطلب من الأطفال أن يذكروا لنا ما يستطيعون ذكره من استخدامات للقلم والمسطرة والكتاب والقِدْر والكرسي، ونحاول معهم زيادة الاستخدامات لهذه الأشياء. ويمكن عقد مسابقات في المدارس لتعزيز هذه المهارة العقلية وتنشطيها.

ج ـ رهافة الإحساس نحو المشكلات، مما يميز المبدعين عن غيرهم. الأشخاص غير المبدعين، لا يرون الكثير من المشكلات القائمة، إنهم تارة يتكيفون معها، فتصبح المعاناة شيئاً عادياً في حياتهم، وتارة يرضون بأنصاف الحلول، وبها يؤمّن الضروريات. أما المبدعون، فإنهم يعرفون الأصول التي يجب أن تكون عليها الأشياء، وبالتالي فإنهم يرون المفارقات بين ما هو كائن، وما ينبغي أن يكون، وهم يستخدمون المقارنة على نطاق واسع من أجل التمييز بين الأوضاع الجيدة والرديئة.

دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة. حديث شريف

حين نجد إنساناً، يتحدث بكثرة عن الطرائف والعجائب التي وقعت له أو شاهدها، والتي لا تقع في العادة لغيره، فإن المبدع ينظر إلى هذا الشخص على أنه يتجاوز الحقيقة أو يبالغ، على حين أن غير المبدع يقف مشدوهاً أمام ما يسمعه من ذلك الإنسان. يقوم المعلم باختيار مجموعتين من طلاب الصف السادس الابتدائي، كل مجموعة من مدرسة، ويمنح لكل مجموعة أربعين دقيقة كي تتحدث بصدق

وأمانة عن الميزات والسلبيات التي تشعر أنها موجودة في المدرسة التي تنتمي إليها، وبعد ذلك يطلب من كل مجموعة أن تدوّن على الورق المشكلات التي يمكن أن تكون في مدرستها، وبعد ذلك يقوم المعلم بمناقشة كل مجموعة على حدة حول ما تنظر إليه على أنه مشكلة حقيقية. وأنت ترى أن الإحساس بالمشكلات هو أحد أسس (التفكير النقدي) وذلك لأن النقد في الحقيقة هو نوع من أنواع الإبداع.

د- حين نلتقي بشخص نعتقد أنه متفوق أو مبدع، فإننا نتوقع أن نسمع منه أفكاراً عظيمة وجديدة؛ والحقيقة هي أن من الصعب التأكد من جدة الفكرة، فقد يكون ما يقوله ليس جديداً، وإنما هو قديم، لكننا لم نسمع به من قبل، وقد يكون دور المبدع عبارة عن صقل الفكرة أو تحويرها أو الإضافة إليها، وليس توليدها، ومن هنا فإن شعور المبدع بأنه يقدم حلاً غير مقتبس، أو يقدم فكرة، يرى أنه أبدعها على نحو كامل، قد يكون هو المعيار الذي نحكم من خلاله على (أصالة) ما نسمع ونقرأ.

((زر غباً تزدد حباً))
حديث شريف

المبدعون ينتجون الأفكار الأصيلة، لكن الأصالة لا تقتصر على الجدَّة، وإنما تعنى أيضاً النفع والفائدة، بل إن القيمة الحقيقية لكل المعارف، إنما تنبع من اتصالها بحياة الناس، وقدرتها على تحقيق الخير لهم، ودفع الشر عنهم، وأمة الإسلام في أمس الحاجة إلى الأفكار العظيمة التي تساعدها على الازدهار وتخفف من لأواء المشكلات العويصة التي تعاني منها. لدينا حزمة كبيرة من المشكلات التي يمكن

أن نطرحها على نطاق واسع من خلال المدارس ووسائل الإعلام، ثم نقوم بتكليف الطلاب بكتابة بحوث قصيرة فيها، أو تقديم حلول ومقترحات لمعالجتها، ومن تلك المشكلات: الإسراف في استخدام المياه والطاقة، إعراض الناس عن القراءة، إعراضهم عن الانخراط في المؤسسات والأعمال الطوعية، وإفراط النساء في الزينة واقتناء الحلي والولع بالشكليات، ضعف القاعدة الصناعية، اتشار البطالة، عدم تلاؤم خريجي الجامعات مع سوق العمل، إدمان التدخين والمخدرات.. إن الأطفال يُحجمون عن الإدلاء بآرائهم - والتي قد تكون بناءة ومثمرة - خوفاً من النقد والاستهزاء، ولهذا فإن ترحيبنا بكل الأفكار التي يطرحونها، يساعدهم على الإبداع والتجديد.

٥- المبدعون قليلون في المجتمع، فهم - باعتبار ما - غرباء عنه، ولم يكونوا غرباء إلا لأنهم يسلكون سلوكات، ويقومون بأنشطة، ويطرحون فروضاً.. مختلفة عما لدى السواد الأعظم من الناس، وأنا هنا سأقدم بعض النصائح الموجزة التي يؤدي العمل بها إلى تفتيح ذهنية الطفل، ودفعه في طريق الإبداع بحول الله:

((ونبّلوكُم بالشر والخير فتنةً وإلينا تُرجعون))
قرآن كريم

- إذا كان في حيك أو بين أقربائك من يُعرف بالعبقرية أو الإبداع واستطعت أن يلتقي أبناؤك به، أو يستمعوا إليه، فخذهم معك، واجمعهم به، فالمبدعون يتركون في جلسائهم آثاراً إيجابية كبيرة، ويحفزونهم بطريقة لا شعورية على الجد والاجتهاد وتعشق الجديد. قد كان كثيرون من سلف هذه الأمة، يسعون بجد إلى أن يأخذ أبناؤهم عن كبار علماء

عصرهم الحديث والفقه والعربية.. وقد كان ذلك يتم في بعض الأحيان بصورة رمزية، لأن لقاء الصغار بالعلماء كان هو الهدف الأساسي.

علِّم الطفل (التفكير الموسَّع)، وذلك كأن تحثه على أن يتصور أن كل شيء ممكن الحدوث: الغنى والفقر والنجاح والرسوب والصحة والمرض وانتقال الجيران وإغلاق الحانوت الذي في الحي.. ثم شجعه على أن يتصور الآثار التي يمكن أن تترتب على تلك الافتراضات. نحن نريد أن ننشِّط الخيال لدى الأطفال، ثم نقوم بمساعدتهم على مناقشة افتراضاتهم وإثرائها وتقويمها؛ وذلك لأن الإبداع كثيراً ما يكون عبارة عن إدراك للطرق المفتوحة والطرق المغلقة.

حين يكون الطفل في حالة نفسية سيئة فإن من الملائم تذكيره بنعم الله عليه وبالأشياء الجميلة في حياته..

درّب الطفل على إطلاق التشبيهات الجيدة، لأن ذلك يعزز لديه فهم العلاقات بين الأشياء، والحقيقة أن التربية القديمة لم تكن تهتم بهذه المسألة على النحو المطلوب، مع أن بعض العلماء يعرّف الذكاء بأنه القدرة على الربط بين الأشياء. أطلق بعض التشبيهات البليغة والجميلة أمام الطفل، وقم بشرحها، ثم اطلب منه أن يُكمل تشبيهاً بدأت به، قال أحدهم: إن الدماغ مثل(البنك) تأخذ منه بقدر ما تضع فيه، وقال آخر: الوقت كالمال إذا أدرته بحكمة، وأنفقت منه بحرص، فإنك ستجد منه ما تسمر، وتلهو فيه. وقد شبَّه أحد الكتاب الروس الأثرياءَ في بلده بالجرذان التي ترتع في مياه المجاري! لنقل للطفل: أكمل الآتي: « النزول إلى النهر للسباحة مثل...»، «إن المعدة مثل...»، «ركوب الدراجة يشبه....»، «المسلم الثابت

على تدينه في الشدائد مثل...»، «الأم التي تتفانى في خدمة بيتها أشبه...» بعد هذا اجتهد في أن تصحح للطفل إذا كان تشبيهه بعيداً، وأن تثري تشبيهاته بما تراه مناسباً.

- تدريب الطفل على افتراض حصول بعض الأحداث البعيدة المفاجئة، يساعده على العثور على حلول للمشكلات فيما بعد، كما أنه يوسع دائرة الخيال لديه، وهناك ما لا يحصى من الأسئلة الافتراضية، نذكر منها على سبيل المثال: لو أردت العودة إلى منزلك، وليس معك مفتاح، وليس في المنزل أحد كيف تتصرف؟ لو ذهبت إلى المدرسة، وتبينّ لك أن المادة التي ستختبر فيها غير المادة التي أعددت نفسك لها نتيجة خطأ في قراءة جدول الاختبار ماذا تصنع؟ كنت في مدرستك واتُّهمت زوراً وبهتاناً أنك سرقت قلم زميلك كيف تدافع عن نفسك؟ كيف تكون الحال لو أصبحت السماء حمراء؟ وكيف يكون حال الناس لو كانوا لا يملكون سوى عين واحدة؟ ماذا يحدث لو كانت النملة أكبر من الإنسان...؟ ويمكن للأسرة أن تتخذ من مثل هذه الافتراضات والتساؤلات ألعاباً مسلية ومفيدة لعقول الصغار والكبار، ويمكن للمدارس أن تركز عليها وعلى أشباهها في أنشطتها اللامنهجية.

الأفضل من تسويغ أخطاء الصغار تعليمهم كيف يتحملون عواقب أعمالهم...

٢- التفكير الإيجابي:

للكلمات تأثير على أفكارنا وللعواطف تأثير آخر، ولنظرتنا للأشياء والأحداث تأثير ثالث؛ ومن هنا يمكن أن نقول: إن الإنسان الإيجابي لا يعتمد على معلومات ومعطيات جديدة في تفكيره، ولا

يحاول اكتشاف أمور لم يكن يراها من قبل، وإنما يقوم بإدارة عواطفه والعمل على استخدام اللغة على نحو مشجع ومحفز، كما أنه يحاول أن يرى الوجه المشرق للأشياء حتى يحصِّن نفسه من اليأس والإحباط. والحقيقة أن الجيل الحاضر في حاجة ماسة إلى من يزرع فيه الأمل، ويساعده على رؤية الطرق المفتوحة والفرص السانحة، وإن بناء التفكير الإيجابي لديه، هو أفضل ما يساعده هذا الشأن. إن الجو الأسري والتعليمي الإيجابي هو الأساس في كل شيء، ومن المؤسف أننا محتاجون إلى أن نجعل الآباء والمعلمين إيجابيين أولاً، ثم نطلب منهم أن يؤسسوا في عقول أبنائهم وطلابهم الاتجاه الإيجابي! وهذه بعض الأفكار والأساليب في بناء الإيجابية، أسوقها عبر الحروف الصغيرة الآتية:

المسلم الملتزم يتقرب إلى الله تعالى بمقاومة شهواته، ويبحث دائماً عن سبل مشروعة لتحقيق مصالحه..

أ- حين يبلغ الطفل الخامسة، فإن وعيه يبدأ بالتفتح على الميزات التي لديه، كما أنه يعقل معنى اللوم والتوبيخ على الأخطاء التي يقع فيها حين يفعل ما نهاه عنه أبوه، أو حين يسيء إلى أخيه الصغير..، ويعقل كذلك معنى ثناء أمه عليه حين يذهب إلى فراشه في الوقت المطلوب، وحين يلعب دون أن تتسخ ثيابه.. حتى نساعد الطفل على تكوين تفكير إيجابي نحتاج إلى أن نذكره بنجاحاته ووقائع تفوقه والميزات التي تظهر في سلوكه بين الفينة والفينة، مثل الصدق والمثابرة والجدية والتعاطف مع الآخرين والاهتمام بإخوته الصغار.. إن تذكره لهذه الأمور، يولد لديه قناعة بالتميز والكفاءة ويزيد ثقته بنفسه، وهذا

كله يساعده على مواجهة الصعاب. بعض الناس - هداهم الله - يفعلون الشيء المضاد، حيث إنهم لا يذكِّرون أبناءهم إلا بزلاتهم وأخطائهم وإخفاقاتهم: أتذكر يوم ضربك فلان، وصرت تبكي دون أن ترد عليه؟ أتذكر يوم طلب منك أخوك الجائع قطعة من الحلوى التي في يدك، ولم تعطه؟ أتذكر حين كنت في الصف الخامس الابتدائي، ولا تعرف ناتج ضرب سبعة في ثمانية؟... هذا كله خطأ، و يجب أن يتوقف فوراً.

ب_ من الأمور الأساسية التي تساعد الصغار على تنمية التفكير الإيجابي لديهم نوعيةُ الكلمات التي نستخدمها في التعبير عن مرغوباتنا وحاجاتنا وآلامنا، ومن المهم أن نعلِّم الأطفال أن يستخدموا التعبيرات التي تدل على القوة والسعادة وحرية الإرادة والاستقلال، وحين نجد أن الصغير يستخدم كلمات، تجنح في دلالتها نحو الضعف أو البؤس أو اليأس، فإن علينا أن نعلمه بدائل عنها ذات ظلال إيجابية وتفاؤلية:

لا تغبطوا الأحياء إلا على ما تغبطون عليه الأموات.
أبو بكر الصديق

- علِّم الطفل إذا قلت له: كيف حالك أن يقول: الحمد لله في أفضل حال، أو يقول: أنا في نعمة كبرى. أو يقول: كل شيء - والحمد لله - على ما يرام، أو كل شيء جيد.. إن هذه التعبيرات، فيها ثناء على الله تعالى وهذا شيء مهم، و فيها ما يدل على الشعور بالرضا والاطمئنان، وهذا أيضاً مهم. بعض الأسر تعوِّد صغارها وكبارها استخدام التعبيرات التي تدل على السأم من الحياة أو سوء الأحوال، فإذا سئل الواحد منهم عن

أوضاعه قال: (ماشي الحال) أو (لا بأس) أو (نقطع الأوقات تقطيعاً) أو (يفرّج الله).. وهذا التعبيرات تزيد في همومهم إن كانوا مهمومين، ولا تحفزهم إن كانوا في وضع جيد.

لنعلم الطفل أنه إذا كان مريضاً، أو يعاني من صداع أو ألم أن يعبر عن ذلك بتعبير لطيف، فقوله: إن رأسي يكاد ينفجر أو إني أشعر أن أمعائي تتقطع، أو لا يمكن لأحد أن يتصور الألم الذي أحسُّ به.. إن هذه التعبيرات تُضعف الروح المعنوية لدى الطفل، وتثير لديه مشاعر التذمر واليأس. وسيكون الوضع مختلفاً حين يقول: لدي صداع، أو لدي مغص، أو أشعر بألم في رجلي.. لكن يبدو أن كثيراً من الناس قد عودوا أطفالهم ألا يمنحوهم تعاطفهم ومؤازرتهم إلا في حال الشكوى الشديدة، ومن ثم فإن الطفل قد يبالغ في شكواه من أجل استدرار عطف أهله وذويه.

كلما اتجهنا نحو الأصول والكليات وجدنا أنفسنا متفقين وكلما اتجهنا نحو الفروع والجزئيات وجدنا أن الخلاف شيء لا يمكن التحرز منه.

هناك تعبيرات تدل على وجود إمكانية لعمل شيء ما، أو الحصول على شيء، وهناك ألفاظ تقود عقولنا ومشاعرنا نحو المسالك الضيقة والطرق الوعرة، وحتى نبني العقلية الإيجابية لدى الطفل، فإن علينا أن نحفزه باستمرار على استخدام التعبيرات التي تدل على وجود الفرص والإمكانات، وأن نحثه على تجنب التعبيرات التي تدل على الصعوبات والعقبات، أو تشير إلى عجزه الشخصي. من التعبيرات الإيجابية الآتي: (يمكن أن أعمل كذا)، (اترك لي الفرصة كي أجرب القيام بكذا)، (سأحاول..)، (نقدك مقبول، وسأعمل به، وهناك دائماً إمكانية لعمل

شيء جيد)، (أملك الخبرة المطلوبة للنجاح)، (أنا أثق بأني نشيط)....

أما التعبيرات التي علينا جعل الطفل يتجنبها، أو يقلل منها فهي من نحو: (أنا خائف)، (لا أمل لي في الحصول على أي شيء)، (حيث اتجهت وجدت الناس يكرهونني)، (أنا ليس لي أصدقاء)، (ليس من حولي رجل صادق)، (كلهم لصوص)... إن الإكثار من التعبيرات السلبية، يجعل المزاج سوداوياً، ويحرض العقل على إنتاج الأفكار اليائسة، ويدفع المرء في اتجاه القعود على حين أن التعبيرات الإيجابية، تساعد على رؤية الفرص المتاحة، وتولد درجة من الشعور بالثقة والرضا.

الطفل الذي يعيش في بيئة آمنة يتعلم حسن الظن، والطفل الذي يعيش في بيئة كثيرة الشكوى يتعلم الشجب..

عوّدوا الأطفال شكر النعم والثناء على المنعم، وعوِّدوهم الاحتفاء بما يملكون، وعودوهم النظرة الإيجابية للمصائب والمحن. إن وجود الطفل بين أبويه وإخوته، وتمتعه بوجود عمات وخالات وأعمام وأخوال، بالإضافة إلى أن والده يعمل وينتج ويكسب، إلى جانب وجود مدرسة، يمكن أن يذهب إليها كل صباح.. إن هذا من النعم الجليلة التي تستحق الحمد لله، كما تستوجب الاغتباط والسرور. لنذكِّر الطفل أن هناك مئات الملايين من الأطفال المحرومين من بعض ما يتمتع به، وفي المقابل فإن الشدائد التي قد تلم بالأسرة، و الأحداث المؤلمة التي يمكن أن يتعرض لها الصغار مهما اشتدت وقست، فإن هناك عشرات الملايين من الأطفال الذين يعانون من مشكلات وأزمات، أشد بكثير، مما يعاني منه الطفل وأسرته؛ ومما يروى في هذا السياق أن رجلاً كان يمشي حافياً وهو يردد في نفسه

الكلمات المشحونة بالحسرة والعجز: ما قيمة حياة لا أستطيع أن أحصل منها على ثمن نعل يساعدني على المشي؟! وبعد قليل دخل مسجد الكوفة، فوجد عند بابه رجلاً فقد قدميه، فحمد الله،لأنه وجد أن ما يفقده ويحتاج إليه، هو أقل بكثير مما فقده ذلك الرجل!

إن من المؤسف أن كثيراً من الناس لا يهتمون أبداً بما يملكون، وتظل أعينهم معلقة بما في أيدي غيرهم، ولهذا فإنهم يزدرون نعمة الله عليهم في الوقت الذي يحسدون فيه الناس على ما آتاهم الله تعالى من فضله، إن هؤلاء من مرضى القلوب، وهم ينقلون أمراضهم الخلقية والنفسية من خلال التربية إلى صغارهم، ليكونوا بالتالي نسخة عنهم! كم هو جميل أن نقول للطفل: اذكر لنا عشرة أشياء تُدخل على نفسك السرور، وعدّد لنا عشراً من البلايا التي أصيب بها بعض الناس، وقد عوفيت أسرتنا منها.

إذا اتفق شخصان في كل آرائهما، فلا حاجة إلى واحد منهما...

جـ- تدريب الأطفال على تلمس المستقبل من أجل تجاوز محن الحاضر؛ لأننا لا نريد للأحوال السيئة أن تؤثر في معنويات الصغار، وعلى سبيل المثال، فقد يرسب أحدهم في الصف الرابع الابتدائي، ويأتي من يقول لأبيه: هذا الولد لا يحب المدرسة ولا الدراسة، حاول أن توجهه لتعلم مهنة من المهن، أو يقول: أخرجه من المدرسة حتى يساعدك في تجارتك.. إن مثل هذه النصائح مدمرة لنفسية الطفل، على حين أن المطلوب، هو مساعدة الطفل على تجاوز محنته، لنقل له: شعورك بالأسى على الرسوب هو شعور مؤقت، وغداً سوف تكون

أحسن. أو نقول له: الآن حصل الرسوب؛ وهذا شيء سيئ ولكن من المؤكد أنك ستبدأ بالاستعداد للامتحانات القادمة. وإذا ضيّع الطفل كل ما جمعه خلال سنة من مال، فإن علينا عوضاً عن التأنيب والتوبيخ ووصمه بالبلاهة والغباء.. أن نقول له: كن حذراً في المرة القادمة، وكن أكثر حرصاً، ولكن أيضاً كن على ثقة من أن الذي رزقك ذلك المبلغ الذي ضاع سيرزقك أكثر منه، والذين ضيعوا بعض أموالهم كثيرون جداً، وقد أخلف الله تعالى عليهم، فادع الله أن يعوّض عليك ما ضاع منك. إن النظر إلى المستقبل والعمل من أجله، يملك قدرة هائلة على تبديد أحزان وأوجاع اللحظة الحاضرة، وعلينا زرع هذا المعنى في نفوس الأطفال.

القلق لا يجرد المستقبل من مآسيه لكنه يجرّد الحاضر من أفراحه..

د- ساعد الصغير على أن يطلق العنان لأحلامه وهو في سن السادسة، قل له: ماذا تحب أن تكون في المستقبل، أكد على هذا التساؤل مدة فإذا كبر قليلاً، قل له: أتحب أن تكون داعية ناجحاً مثل فلان، أو طبيباً ممتازاً مثل فلان، أو مدرساً بارعاً مثل فلان، أماذا تحب؟ وحين يكبر ويترعرع، تأخذ في مساعدته على أن يحدد اتجاهه في المستقبل، ومن المهم في هذا السياق ألا نترك للتجارب السيئة التي يمر بها أن تؤثر في طموحاته، فقد يرسب الفتى في الصف الأول المتوسط، وبالتالي فإنه سيقول في نفسه: أنا لا أصلح أن أكون طبيباً في المستقبل، لأن الطبيب لا يكون إلا متفوقاً في دراسته، وقد يرسب في إحدى السنوات في مادة الرياضيات فيقول في نفسه: لا يمكن لي أن أكون مهندساً أو

مدرساً للرياضيات... وهكذا كلما أخفق في أمر تولدت لديه قناعة بانسداد باب من الأبواب في وجهه إلى أن يشعر في النهاية أنه لا يصلح لأي شيء. التاريخ مملوء بسير الرجال الذين لم يكونوا سوى أشخاص عاديين في صباهم، ثم صاروا أعلاماً عظاماً، ومملوءاً بسير الرجال الكبار الذين وقعوا في إخفاقات هائلة في بعض أعمالهم أو بعض جوانب حياتهم.. يجب أن نشرح للأبناء أنه لا يشترط للمرء حتى يكون متميزاً أن يكون متفوقاً في كل سنوات دراسته، أو في جميع المواد، بل يكفي أن يركز جهوده في شيء يحبه، ويميل إليه، ويشعر بامتلاك القدرة على الإبداع فيه، لكن لابد هنا من الإشارة إلى أن المشكلة تأتي أحياناً من بعض المعلمين وبعض الآباء والأقرباء، حيث إن كثيراً منهم يصنفون الصغار حسب رؤاهم الشخصية وحسب ما يلمسون من النتائج التي يحققونها في المدارس؛ ففلان من الأبناء يكفيه الحصول على الثانوية، لأنه لا يحب الدراسة، وفلان يكفيه الحصول على المتوسطة، لأنه يجب أن يساعد أباه في إدارة أعماله، أما فلان، فينبغي أن يكمل دراسته الجامعية لأنه متفوق وذكي... وهكذا يضعون عن حسن نية سقفاً لتطلعات الصغار وطموحاتهم، ويرسخون لديهم التفكير السلبي، بل يبذرون في نفوسهم بذور الشك في قدراتهم وبذور اليأس من المستقبل، وهذا يشكل جناية على الصغار. إذا لم نستطع مساعدة الأطفال على أن يتطلعوا إلى المعالي، فلا أقل من أن نكفَّ عن شدهم إلى الوراء.

إن الهموم بقدر الهمم

٣- التفكير الواقعي:

هو التفكير الذي يستند إلى الواقع الماثل أمامنا حقيقة، أو هو تفكير من يرى العالم على ما هو عليه فعلاً دون تجميل أو تحيّز. ويجب أن نعترف في البداية بأن محاولتنا بناء تفكير واقعي لدى الناشئة، هي محاولة شاقة ومحفوفة بالمخاطر، فنحن إذا قلنا للأطفال الحقيقة كاملة، فإننا نخشى من أن ننشر بينهم الإحباط، كما نخشى ونحن نحاول جعل الأطفال واقعيين من أن نُضعف التفكير الإيجابي لديهم، ونخشى كذلك من أن يساء فهمنا من قبل الأطفال، فتكون النتائج مباينة للمقاصد. إذن دعونا نفتتح الحديث عن التفكير الواقعي بالاعتراف بصعوبة المهمة التي نتصدى لها، ودليل صعوبتها قلة من يوفق للنجاح فيها، فمعظم الأطفال إما أنهم يعرفون كثيراً من الحقائق على نحو فج ومؤذٍ، أوأنهم يُخدعون من قبل ذويهم وأصدقائهم؛ لكن مع هذا لابد أن نعمل شيئاً على هذا الصعيد، وإن كان ما نتطلع إليه لا يتيسر لنا في كل حين. وهذه بعض الإشارات في شأن التفكير الواقعي:

كما أننا تجاوزنا كثيراً من شدائد الماضي فإننا بعون الله قادرون على تجاوز شدائد الحاضر لتصبح جزءاً من التاريخ...

أ- اطلاع الأطفال على الواقع الماثل، يعني بوجه من الوجوه اطلاعهم على الحقيقة، ولهذا فإن التفكير الواقعي، يعني التعامل مع الحقائق الثابتة؛ وإن الحقيقة في الرؤية الإسلامية، تستحق دائماً الاعتراف وتستحق أن تؤخذ بعين الاعتبار، لأنها تؤثر في حياتنا مهما حاولنا تجاوزها أو غض الطرف عنها؛ ولهذا فإن بناء التفكير الواقعي لدى

الأطفال هو جزء من احترامنا للحقيقة وجزء من أسلوب تعاملنا معها؛ وهذا أصل معتمد؛ حيث إن إحقاق الحق وتعليمه الناس جزء من رسالة المسلم في هذه الحياة.

ب ـ يبدو أن الطاقة البشرية على خداع النفس لا حدود لها، ولهذا فإن كثيراً من الصغار والكبار، يقومون بأعمال كثيرة، لا ينبغي لهم أن يقوموا بها، فهناك أعداد هائلة من الأطفال وفي كل مكان، لا يخبرون أهليهم أنهم رسبوا في مدارسهم، وهم يفعلون ذلك هروباً من الواقع وخوفاً من التأنيب والتوبيخ الذي يتوقعونه إذا قالوا الحقيقة، وتصرفوا على أساسها. نحن الكبار نفعل ذلك أيضاً، حيث إن كثيراً من الآباء والأمهات، يحاولون إخفاء خلافاتهم عن الأبناء، والإيحاء بأن كل شيء طبيعي، مع أن الأبناء يعرفون أن العلاقة بين أبويهم ليست على ما يرام، لكنهم لا يعرفون مدى التوتر الحاصل أو حدود ذلك التوتر التي وصل إليها الخلاف، ولهذا فإنهم يعانون من كثير من القلق والخوف على مصير الأسرة، وبعد مدة يفاجأ الصغار بوقوع الطلاق وانهيار الأسرة.. الصغار حين يكونون غير واقعيين، يجدون الأعذار والذرائع لذلك، والكبار لا يختلفون عنهم في هذا، لكن أكثر ما يدفعهم إلى ذلك هو حماية الأطفال من وطأة الحقائق المؤلمة، وجعلهم يشعرون بالأمن والاستقرار، لكننا لا ننتبه ونحن نفعل ذلك أننا نقوم بتعزيز قدرات الصغار على الإنكار وتجاوز الواقع، كما أننا نسوّغ لهم بطريق غير مباشر الوقوع في الكذب

إنك لا تنال ما تريد إلا بترك ما تشتهي، ولن تبلغ ما تؤمل إلا بالصبر... علي بن أبي طالب

والخداع! ويجب ألا ننسى في هذا السياق ما يقوم به بعض الأهل من تخويف الصغار بالجان والعفاريت والأشباح... ويبالغ بعضهم في ذلك مبالغة كبيرة إلى حد دفع الأطفال في طريق التفكير الخرافي!.

جـ- نحن نعرف أن الحقيقة تكون أحياناً مرة وصعبة الاستيعاب وذات أثر كبير في الشعور بالخوف من المستقبل، وكيف يمكن لأم أن تشرح لصغارها أن آباءهم غارق في الديون، وهو على وشك دخول السجن، أو يشرح أب لأبنائه أن أمهم مصابة بمرض عضال، وأن عليهم أن يكسبوا رضاها، ويقوموا على خدمتها لأن أيامها باتت معدودة؟! لا شك أن الوضع صعب للغاية، لكن مع كل هذا يبقى خيار الصدق والأمانة والمكاشفة، وتقرير الواقع هو الخيار الأفضل. إننا حين نقوم بشرح المواقف الأليمة لأطفالنا مع تفصيل الحقائق من وجهة نظرنا، فإننا نجعلهم يدركون أن لدينا القوة العاطفية التي تمكننا من التعامل مع أشد الحقائق قسوة، والتغلب عليها، كما أن إقدامنا على ذلك، يشجع الصغار على أن يسلكوا المسلك نفسه في الإفصاح عن مشكلاتهم.

المهم دائماً ليست منزلتك لدى الناس، ولكن منزلتك لدى نفسك.

د- نحن كما أشرت، نحتاج إلى تأسيس موازنة بين التفكير الإيجابي المتفائل والقائم على رؤية أفضل ما في الأشياء، وبين التفكير الواقعي القائم على رؤية الأوضاع على ما هي عليه من خير وشر وحسن وقبح، فكيف نتمكن من ذلك؟ نحن نريد للطفل أن يعرف كل شيء، لكن في الوقت المناسب، يجب أن يعرف المشكلات التي

ورثتها الأسرة عن أسلافها، وأن يعرف أوضاع الأسرة المادية، كما يجب أن يعرف الميزات والخصائص التي تتمتع بها، والفرص التي تنتظرها.. معرفة كل هذا وغيره مطلوبة، لكن السؤال الجوهري: متى يتم ذلك، وكيف يتم؟

ليس من الصواب أن نحدِّث طفلاً في الثامنة من عمره عن الديون المتراكمة على أبيه، أو عن خلاف قديم بين أبيه وأحد أخواله.. إن هذا غير ملائم، لأنه يثقل كاهل الطفل، ويشوشه دون أن يكون قادراً على تنظيم رد فعل جيد عليه، ولهذا فإن الإعراض عنه هو الصحيح، لكن حين يصبح الابن في الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة، فإن من الممكن أن نحدثه عن ذلك حتى يكون له دور في التخفيف من حدته. ومن المهم أن نختار الأسلوب المناسب لشرح ذلك للطفل، فنحن نعرف أن كل الأحداث والأمور يمكن أن تُشرح بطريقة، تجعل منها كوارث وفواجع، ويمكن أن تُشرح بطريقة، تجعل منها تحديات، يمكن مواجهتها والتأقلم معها، وأحياناً التغلب عليها. هذا أب يقول لابنه: نحن مضطرون يا بني إلى أن ننتقل إلى مدينة كذا بسبب انتقال عملي، وأنا أعرف أن هذا سيسبب لك الكثير من الإزعاج والألم لأنك ستفارق مدرستك، وستفارق قبل ذلك المكان الذي ولدت ونشأت فيه، وقد كنت يا بني أحاول ألا أنتقل مراعاة لك، لكن لم أتمكن، فأنا إذا لم أوافق على النقل فقدت عملي، وأنت تعرف ماذا يعني هذا.. لكن كن على ثقة يا بني

الجماعة أن تكون على الحق، ولو كنت وحدك (أي الحق القطعي)
عبد الله بن مسعود

أنك خلال مدة وجيزة ستألف المكان الجديد، وستكسب أصدقاء جدداً، وستجد مدرسة جميلة كمدرستك، وأتصور أنك بعد سنة من الآن سترفض مغادرة المدينة الجديدة لأنك ستتعلق بها وتحبها، ولو تأملت حولك فستجد أن كثيراً ممن نعرف انتقلوا إلى مكان غير المكان الذي نشأوا فيه، وهم يعيشون الآن سعداء، ونحن في هذه الدنيا لا نستطيع أن نحصل على كل شيء، فيجب أن نقنع بما قُدر علينا، ونطلب من الله تعالى المعونة، وما هو قادم أفضل مما مضى - إن شاء الله - وعلى كل حال فإني سأظل أحاول العودة إلى مدينتنا، وسنعود متى تهيأت الظروف. إن الطفل حين نخاطبه بهذا الأسلوب، يشعر أننا نحترمه، ونشركه معنا في تحمل المسؤولية، كما سيشعر أننا نتعاطف معه ونتفهم المعاناة التي سيجدها حين ننتقل من بلدنا إلى بلد آخر.

شيء جيد أن نحلم ونتمنى، لكن بشرط ألا نغرق في الأوهام..

٥- تتوقف مساعدة الأطفال على استيعاب الواقع وعلى التفكير بواقعية على أمر أساسي في التربية، هو التواصل معهم والبحث عن الأوقات الملائمة للتحدث إليهم أكثر وأكثر؛ إننا حين نطيل الجلوس معهم، وقد أغلقنا التلفاز، وأبعدنا كل الشواغل الجانبية، فإننا سنحدثهم عن الكثير من الأشياء، وسنتيح لهم الفرصة أيضاً ليتحدثوا عن الكثير، ويسألوا عن الأمور التي تثير إشكالات لديهم، إذ إن من المعروف أن الجلسات الطويلة، تخفف من رقابة المرء على أفكاره، وتقلل من تحفظه وحذره، وهذا يجعل الصغار يطلعون

على الكثير من شؤون الأسرة، كما يتيح لهم الفرصة لسماع الكثير من وجهات النظر حول الأحداث المهمة التي تجري على الساحة.
بعض الأمهات ذوات الحنكة التربوية، يتبعن أسلوباً مؤثراً وفعالاً في فهم الطفل للواقع ولطبيعة الحياة، وهو أسلوب القص وسرد الحكايات، إنهن يتخذن من القصص والحكايات الواقعية والمتخيلة أداة لشرح الواقع، وأنه ينطوي على الأفراح والمسرات، كما ينطوي على الأحزان، وينطوي على الفضائل والمواقف النبيلة، كما ينطوي على الرذائل والمواقف السيئة والدنيئة.. وهن يتخذن إلى جانب هذا من (الحكي) وسيلة للتوجيه، فهذه قصة تحكي العاقبة السيئة لطفل أهمل في دراسته،فرسب، وطرد من المدرسة، وحين كبر صار يعمل بأجر قليل وأعمال مجهدة، وهذه قصة لفتى تغرب عن أهله للدراسة في إحدى الثانويات، والتف حوله زمرة من رفقاء السوء، فسحبوه إلى مستنقع المخدرات، وكانت النتيجة الانخراط في أعمال السرقة واللصوصية، مما أدى إلى سجنه مدة عشر سنوات، وهذه حكاية فتى يحافظ على وقته بدقة، مما جعله يتفوق على أقرانه، ويحصل على أعلى شهادة يحملها فرد من عائلته الكبيرة وهكذا..

كثيراً ما يكون الفارق بين الكلام والعمل كالفارق بين السراب والماء..

٤- التفكير الناقد:

يحتاج أطفالنا – كما نحتاج نحن – إلى امتلاك الرؤية النقدية، وامتلاك القدرة على ممارسة النقد. النقد قبل كل شيء يعني قيام الناقد بتقويم

الأفكار والأحداث والسلوكات، وتوضيح ما فيها من صواب وخطأ وجمال وقبح وخير وشر.. إذن النقد لا يهدف إلى بيان العيوب فحسب، كما هو شائع. النقد عمل عظيم، لأنه يبصرنا بالموقف الصحيح الذي يجب أن نتخذه من الأوضاع والعقائد والعادات السائدة في بيئاتنا ومجتمعاتنا. إن مما لا جدال فيه أنه ليس هناك مذهب أو تيار أو مجتمع ذهب بكل الصواب والفضل والخير، كما أنه ليس هناك مذهب.. جمع كل الأخطاء والشرور، وهناك إلى جانب هذا مفارقة أبدية بين التنظير والتطبيق، فما نفعله لا يتطابق على نحو دائم مع ما نقوله، ونتحدث عنه، كما أننا حين نشغِّل عقولنا، فإنها تنتج الأفكار الجيدة، كما تنتج الأفكار الرديئة، وعلينا ألا ننسى بعد كل هذا أن كثيراً من أوضاعنا، ينحرف عن الجادة بسبب أهوائنا وشهواتنا وحرصنا على مصالحنا غير المشروعة، ولهذا كله فإن النقد يُعدُّ عملية ضرورية، لأنه يشكل الأداة الأساسية في هذا اللون المهم جداً من ألوان التفكير. وهذه بعض الملاحظات السريعة في التفكير النقدي:

لا يكفي أمة الإسلام اليوم النجاح في الحياة، وإنما تحتاج إلى التميز في النجاح..

أ- التفكير النقدي نشاط ذهني راقٍ جداً، بل هو أرقى أنواع التفكير لأنه يتطلب معرفة بالموضوع الذي نفكر فيه، كما يتطلب تخيلاً جيداً لعناصره، بالإضافة إلى الوعي بالمبادئ والمعايير التي يتطلبها إصدار أو تنظيم المقولة النقدية في المسألة موضوع التفكير، وبما أن كل ما ذكرناه من العناصر المطلوبة للقيام بالتفكير النقدي، لا يكون متوفراً لدى الناس عادة على درجة واحدة، فإن

لنا أن نتوقع دائماً نقداً يشوبه شيء من النقص والخلل؛ وفي كل الأحوال، فإن الناقد، يعبرِّ عن وجهة نظر شخصية، قد يوافقه غيره عليها، وقد لا يوافقه؛ وهذه الملاحظة مهمة، حيث ينبغي أن نلقن الأطفال أنه ليس على الواحد منهم أن يتقبل كل نقد يوجه إليه، إذ قد يكون صحيحاً، وقد لا يكون، كما أن النقد الذي يوجِّهه معلمه أو والده، لأي فكرة أو وضعية، قد يكون في محله، وقد لا يكون، وبناء عليه فإن ما يبديه الأبناء والطلاب من ملاحظات على أسرهم ومدارسهم، وعلى الأفكار والسلوكات السائدة في المجتمع له الحكم نفسه، وعليهم أن يتعلموا الإصغاء لوجهات النظر المخالفة. ومن الملاحظ أن لدى الطفل ميلاً شديداً نحو التمركز حول الذات، ويستمر معه ذلك إلى مرحلةٍ ما من مراحل نموه، ولهذا فإنه قلما يراعي وجهات نظر الآخرين، والصواب لديه، هو ما يراه هو نفسه، وحين يدخل في مرحلة المراهقة كثيراً ما تتولد لديه نزعة متطرفة نحو الاعتداد بالرأي ونحو تسفيه آراء الآخرين، ولذا فإن على الكبار أخذ ذلك بعين الاعتبار، والنظر إلى هذه الحالة على أنها حالة مؤقتة تتراجع في وضع متزامن مع الرشد والنضج.

تتجلى فائدة الخيال حين تضعنا على حافة خبراتنا وضفاف المجهول، فإذا تجاوز ذلك، فقد يقذف بنا في أودية الأوهام..

ب_ حتى تتجه الأسر والمدارس إلى تعليم الصغار التفكير الناقد أو النقدي، فلا بد لها من أن تمتلك الإيمان بقدرة الأطفال على تعلم هذا النوع من التفكير، وإصدار الحكم الصائب، كما لا بد لها من الإيمان

بحقهم في أن يبدوا وجهات نظرهم في كل ما يحيط بهم. إن موروثنا الشعبي في المجال التربوي، يفضل الطفل الصامت الممتثل المطيع على الطفل الناقد والمعترض والمدافع عن وجهة نظره، حيث إن كثيراً من الناس في القديم والحديث، ينظرون إلى النقد الذي يمارسه الأطفال للحياة الاجتماعية على أنه نوع من الوقاحة أو التجاوز لحدود الأدب، أو نوع من الغرور والاعتداد المبالغ فيه بالذات، مع أن أسلافنا لم يكونوا كذلك، وكلنا يعرف ما رواه البخاري من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إن من الشجر شجرة، لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، فحدثوني ما هي؟ فوقع الناس في شجر البوادي. قال ابن عمر: وقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله». وقد ورد في بعض الروايات أن ابن عمر استحيا لأنه كان أصغر الحضور، ولما قاموا من المجلس حدّث أباه بما وقع في نفسه، فقال له أبوه عمر: لأن تكون قلتَها أحب إلي من حمر النعم!

لو كان من السهل على المرء أن يكون عالماً كبيراً لصار كل الناس علماء، لكن لابد لذلك من حرمان النفس من بعض الملذات...

إننا بتعليمنا الأطفال أصول النقد وآدابه، نكون قد قدمنا لهم الحماية من التقليد الأعمى، ومن مخاطر الاستسلام للأوضاع السيئة، كما نكون قد هيأناهم ليقوموا بدور إصلاحي نافع في المستقبل.

ج ـ إذا أردنا أن ندعم الملكة النقدية لدى الطفل، فإن علينا أن نحرّضه على طرح الأسئلة حول ما يرى ويسمع ويشعر.. وذلك لأن الإنسان يسأل حين يرى شيئاً، لا يقره، ولا يوافق عليه، أو حين

يسمع شيئاً لا يفهمه، أو لا يعرف أسبابه، أو لا يعرف ماذا يترتب عليه، أو لا يعرف رد الفعل الذي سينظمه تجاهه، إنه يلمس مفارقة بين ما هو كائن، وما ينبغي أن يكون، ولهذا يطرح الأسئلة من أجل فهم حجم تلك المفارقة ونوعيتها وأسبابها والنتائج التي يمكن أن تترتب عليها. إن الله عزّوجلّ فطر الأطفال على التساؤل والتطلع إلى معرفة المجهول والوصول إلى الحقائق الغامضة، وعلينا تجاه هذه الفطرة الجميلة القيام بأمرين:

الأول: هو تلقي تساؤلات الطفل بصدر رحب وبصبر وحكمة، فالأطفال يشبهون في جهلهم بأمور الحياة الذي يدخل غرفة مظلمة لم يدخلها من قبل، ولذا فإنه يتحسس كل شيء، ويسأل عن كل شيء، هكذا الأطفال إنهم لا يميزون بين البدهي وغير البدهي، ولا يعرفون الوقت المناسب لطرح السؤال، كما أنهم لا يعرفون الشخص المناسب الذي يوجَّه إليه السؤال.. وهذا كله يسبِّب للكبار الضيق والحرج، ولهذا فإنهم ينهون الصغار عن كثرة الأسئلة، وأحياناً يجيبونهم بأجوبة غير صحيحة ولا معقولة.. نعم يمكن أن نقول للطفل: الوقت غير مناسب الآن للإجابة على سؤالك، اسألني حين نكون على العشاء، أو نقول: يصعب عليك أن تستوعب الجواب عن هذا السؤال، وحين تكبر ستعرفه من تلقاء نفسك.. المهم أن يشعر الطفل أنه لا يرتكب خطأ حين يسأل، والمهم أن يتلقى الجواب الصحيح والمقنع.

تغيير ما حولنا إذا لم يقم على تغيير ما بأنفسنا، فإنه سيكون محدود الفائدة والقيمة..

الثاني: تدريب الأبناء والطلاب على صياغة الأسئلة وعلى توجيهها وتوقيت إلقائها.. والحقيقة أن هذه القضية ذات ذيول؛ حيث إن الأسئلة الممتازة والدقيقة، تعبر عن عقلية صاحبها وثقافته، ولذا فإن التفاوت في مهارة التساؤل تفاوت كبير جداً بين الناس: صغارهم وكبارهم يقول أحد الحكماء: قد منحني الله تعالى ستة رجال أقوياء أمناء، يخدمونني، ويعلمونني كل شيء، وهم أصل كل ما أعرف: (ماذا)، (لماذا)، (كيف)، (متى)، (أين)، (من). إن رجاله الذين يتعلم منهم هم هذه الأدوات الاستفهامية التي تساعده على إيجاد مداخل لفهم القضايا والمشكلات والتعامل معها. شيء جميل ومهم أن نتعود داخل أسرنا ومدارسنا طرح الأسئلة المنظمة والمستفيضة من أجل الإحاطة بالموضوعات التي نتحاور فيها، والمشكلات التي نحاول إيجاد حلول لها، لأن التساؤل المنظم أحد أدوات التفكير الناقد المهمة، وعلى سبيل المثال، فقد يجد الأبوان أن ابنهما الذي يدرس في الصف الثالث المتوسط، ضعيف في أدائه الدراسي، فهو يرسب في بعض المواد، ويحصل على درجات متدنية في مواد أخرى، ومن أجل مساعدته على تجاوز هذه المشكلة، يجلسان معه، ويبدآن بطرح الأسئلة: ما المواد التي تشعر أنك لا تميل إلى دراستها، أو الحضور في حصصها؟ متى بدأ لديك العزوف عنها؟ ما سبب ذلك؟ هل هو صعوبة المنهج، أو صعوبة أسلوب الأساتذة في تدريسه، أو عدم اهتمامهم بتبسيط الموضوعات التي يشرحونها؟ أين

أنت لا تستطيع بناء مجتمع أقوى من مجموع إفراده، والأمة الضعيفة، يكون معظم أبنائها ضعفاء..

تجلس في الصف: في أوله أو في آخره..؟ وما تأثير ذلك في متابعتك للمدرسين؟ هل أصدقاؤك في الفصل يعانون من صعوبة فهم هذه المواد، كما تعاني؟ وإذا كان الجواب (نعم) فلماذا يحدث ذلك؟ كيف يمكن التغلب على هذه المشكلة؟ ما العادات التي يجب أن يكسبها الابن حتى يتحسن مستواه؟ ما المساعدة التي يمكن أن يتلقاها من أسرته؟ متى سيبدأ تنفيذ ما تم الاتفاق عليه؟

د- يعتمد التفكير النقدي اعتماداً شبه كلي على إدراك المحاسن والمساوئ، و الإيجابيات والسلبيات موضع النظر؛ ومستندنا عند مباشرة أي نقد يتمثل في اعتقادنا أن الشيء مهما حسُن، فإنه لا يخلو من بعض العيوب، ومهما قبُح، فإنه لا يخلو من بعض المحاسن، لكن الملاحظ أن عقولنا أقدر على رؤية السلبيات منها على رؤية الإيجابيات، ومن ثم فإن الناقد الفذ هو الذي يستطيع وضع الإصبع على مواطن العظمة والسمو والإبداع والتفوق والجمال في النصوص والأعمال والأشياء التي ينظر فيها. ومن المؤسف أن مجالسنا مفعمة اليوم بذكر الكوارث والمصائب والانتكاسات والمشكلات؛ مما جعل الجيل الجديد، لا يجد في مجالسنا سوى الشكوى المغلّفة باليأس والإحباط، ولهذا فإننا في حاجة ماسة إلى جعل وعي الصغار يتفتح على الميزات والإيجابيات أكثر من تفتحه على السلبيات والأزمات، وإذا تحدثنا عن سلبية ما، فلنتحدث عنها في سياق نقدي تقويمي شامل.

كان الجهد البشري في الماضي منصباً على صنع آلات، تخفف من الجهد العضلي الذي كان يبذله الناس في أعمالهم، أما اليوم فإن التقنية الحديثة، تعمل على مساعدة الناس على الاقتصاد في الجهد الذهني.

إن المدارس تستطيع تنمية مهارة إدراك المحاسن والمساوئ عبر

الأنشطة (اللامنهجية) حيث يمكن عقد جلسات للإمطار الذهني، يتم فيها تحديد موضوع معين مثل الغنى أو الفقر أو الشهرة أو الفراغ أو الاجتهاد أو اللين أو الشدة..، ثم يشرع الطلاب، المشاركون في البحث في الحديث عما في ذلك الموضوع من جوانب إيجابية محبوبة، وما فيه من جوانب سلبية سيئة أو منفرة، ويمكن قسم الطلاب المشاركين إلى فريقين: فريق يتحدث عن المحاسن، وفريق يتحدث عن المساوئ، ويكون الفوز للفريق الذي يكتشف أكبر عدد ممكن من الإيجابيات أو السلبيات التي يقبلها الحَكَم. إن تعويد الأطفال هذا الأسلوب في التفكير ذو فائدة كبرى على صعيد الوعي بأحداث الحياة وبالأوضاع العامة، حيث إن كثيراً من الأطفال والمراهقين والشباب يتخذون القرارات الخاطئة نتيجة الاندفاع والتهور والذي كثيراً ما يحدث بسبب الرؤية النصفية، والتأثر ببعض الميزات أو السلبيات دون تقليب القضية على وجوهها المختلفة، ولهذا فإن الاهتمام بتنمية هذا اللون من التفكير يوفر للناس جميعاً قدراً كبيراً من التوازن في التعامل مع كل الأشياء. إن العثور على الأخطاء والعيوب ليس بالأمر العسير، وعلى مدار التاريخ كان هناك من يكتشف العيوب، كما كان هناك من يلصق التهم بأطهر الخلق - الأنبياء عليهم السلام ويجد من يصدقه ويتفاعل مع كلامه، إذن ما العسير، وما التحدي؟ التحدي الأكبر الذي يواجهنا هو إيجاد البدائل، حيث إن هدف التفكير النقدي هو الإصلاح والارتقاء وليس التشهير أو التشويش؛

كثيراً ما ننظر إلى مشكلاتنا بعيون قلوبنا، ولذلك فإننا لا نقبل حولها أي نقاش..

والنقد المنتج هو الذي يساعد على نحو مباشر في الانتقال من حال إلى حال أفضل، أو يساعد على تطوير عمل أو منتج على نحو إيجابي. ونحن في الحقيقة في حاجة إلى ترسيخ هذا المفهوم في عقول الصغار حتى نحميهم من اللغو، ومن النقد الذي لا يتعدى كونه نفثة مصدور أو جأراً بالشكوى أو انتقاماً من مخالف. لا يعني كل هذا أن اكتشاف العيوب في حد ذاته ليس ذا قيمة، أو لا يدل على إبداع، إنه ذو قيمة عالية وأهمية بالغة، لكن من وجه آخر فإن من النادر أن نجد ناقداً ممتازاً، ينقد وضعية سياسية أو اجتماعية أو أخلاقية معينة، ثم لا يكون لديه مقترحات وتطلعات لما ينبغي أن يكون عليه الوضع، ولهذا فإننا في حاجة إلى إرساء تقاليد ثقافية جديدة، تركز على البديل وعلى الحل والمخرج.. حين يعرف الطفل أن رفض شيء أو الاعتراض عليه، سيجعلنا نطالبه بالشيء الذي يقبله، أو بالشيء الأفضل، فإنه سيقلل من الاندفاع نحو النقد، كما أنه سيشغل إمكاناته الذهنية للبحث عن حلول وبدائل، وهذا ينمي عقليته، ويحسّن سوية تفكيره.

حين ينظر الناس إلى العلم نظرة تجارية، فإنهم يبذلون الحد الأدنى من الجهد للحصول عليه..

٥- التفكير الموضوعي:

الوقوف على الحقيقة والتعامل معها على نحو دقيق وبالشكل اللائق يشكِّل هدفاً كبيراً لكل بني البشر، وهذا سهل في بعض الأحيان، وذلك حين يكون ما نتعامل معه شيئاً بسيطاً ومحدوداً، لكن الأمر يختلف كلياً حين نتعامل مع أمور معقدة أو كبيرة أو ذات أبعاد

إنسانية أو معنوية غير محسوسة، وعلى سبيل المثال، فإن من غير السهل أن نعرف حقيقة التدين أو التربية أو الاقتصاد في بلد، عددُ سكانه خمسون مليوناً. إن من الممكن أن نعرّف (التفكير الموضوعي) بأنه:(نشاط عقلي منظم، يستند إلى معلومات جيدة، ويستهدف الوصول إلى الحقيقة والتعامل معها على ما هي عليه بعيداً عن الذاتية والمؤثرات الخارجية)[1]. وإليك شرحاً موجزاً لهذا النوع من التفكير عبر المفردات الآتية:

إذا أسرفنا في تقديم الخدمة للطفل، فإننا نقعده عن تشغيل العقل وشحذ الذهن، وبذلك نسيء إليه أكثر مما نُحسن..

أ- حين نريد إصدار حكم على شيء، فإن علينا أن نجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات المتعلقة به، وقد أكد على هذا المعنى القرآن الكريم في غير موضع، حيث يقول سبحانه: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾[2] أي لا تتبع ما لا تعلمه علم اليقين، بل كن متثبتاً في أمورك، ولا تذهب وراء الظنون والشائعات. وقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾[3]. إن علينا أن نشرح للأطفال هذه الحقيقة بأساليب ميسرة ومتعددة لأن لها علاقة وثيقة بالحياة الثقافية والاجتماعية لمعظم الناس: هذا طفل يدرس في المرحلة الابتدائية، يقول له زميله: إن زميلنا فلان ذكر أنك لئيم، وذمك في غيابك، فما

١- للمؤلف كتاب بعنوان (فصول في التفكير الموضوعي) ارجع إليه إن شئت.
٢- سورة الإسراء: (٣٦).
٣- سورة الحجرات: (١٢).

كان منه إلا أن شرع في ذمه والتحدث عن معائبه. هذا موقف خاطئ لأن الطفل لم يبذل أي جهد في التحقق من صدق زميله مع أن هناك احتمالاً لأن يكون كاذباً أو واهماً أو قاصداً للإيقاع بين الزميلين لتحقيق مصلحة شخصية، وقد أمرنا الله تعالى بالتثبت والتبين في مثل هذه الأحوال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴾[٤]. الأهل وكذلك المعلمون يطلعون على وقائع كثيرة من هذا النوع، وينبغي عليهم استغلالها في تنبيه الطفل وإيقاظ وعيه لهذا الخطأ. وهذا طفل ظن أن أباه موسر، فأخذ يتوسع في طلب المال واقتناء الألعاب، مع أن أباه فقير ومدين؛ وعلى الأم أن توضح ذلك للطفل، وتلقنه درساً في عدم جواز الجري وراء الظنون. وهذا طفل ثالث ظن أن معاملة مدرِّسه له بلطف دليل على نباهته ومكانته في نفسه، فصار يتصرف تصرفات تتسم بالجرأة والتمادي والاستهتار.. وهكذا يتوهم الطفل وجود أشياء لا وجود لها في الحقيقة، ويتصرف بناء على ذلك الوهم، وهذه فرصة لتعليمه وتوجيهه.

التفكير الجيد مهارة، يصنعها التدريب

ب_ التفكير الموضوعي كما يعتمد على البعد عن الظنون والأوهام والتقديرات المتعجلة، يعتمد كذلك على البعد عن الأهواء والميول الشخصية والمصالح الخاصة، والحقيقة أن البعد عن الظنون قد يكون

٤- سورة الحجرات: (٦).

أسهل من البعد عن الأهواء، حتى إن كثيراً من الباحثين، يرون أن التجرد من الأهواء والخصوصيات الثقافية في إصدار الأحكام وتحديد المواقف، غير ممكن في معظم الأحيان، وإن إدراك الإنسان لما يطرأ من اختلاط آرائه بأهوائه، لا يتيسر له في بعض الأحيان بسبب دقة المسالك والمسارب في هذا الشأن، ومن هنا شدد القرآن الكريم على توضيح دور الهوى في البعد عن الحق وسلوك سبل الغواية، حيث قال سبحانه: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[٥]، وقال: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾[٦]. إذا كان التحرز عن الأهواء صعباً بالنسبة إلى الكبار، فهو بالنسبة إلى الصغار أصعب، حيث إن الطفل، يحيد عن الحق، ويميل مع هواه دون أن يشعر بالإثم أو الحرج بسبب تأخر نمو الحاسة الأخلاقية لديه. يتجلى اتباع الأهواء لدى الأطفال في كثير من المواقف: هذا طفل حدث نزاع بينه وبين ابن الجيران، فجاء إلى أهله، يشكوه، ويجعل من نفسه الشخص المعتدى عليه، مع أنه قد يكون هو المعتدي.

إن أصحاب الكسل الذهني تحجبهم قسوة المعطيات الحاضرة عن رؤية الإمكانات الكامنة

٥- سورة الجاثية: (٢٣).
٦- سورة البقرة: (١٢٠).

وهذا طفل يحب مدرسه، فيسرف في الثناء عليه، ويكيل له المدائح على نحو لا يوافقه عليه أحد، وهذا طفل يتشاجر مع أخيه، فيصفه بصفات سيئة ليست فيه وهكذا.. إن علينا أن نصغي لما يقوله الطفل باهتمام، وبعد ذلك نبدأ بمناقشته وبيان التجاوزات التي ظهرت في كلامه، ولكن لا بد حتى يكون موقفنا موضوعياً من أن نراقب أنفسنا، فلا نستخلص نتائج يقينية من مقدمات ظنية، ولا نحيد عن الحق الصريح اتباعاً لأهوائنا أو حرصاً على تحقيق بعض المنافع الضيقة، وهذا هو التحدي الذي يواجهنا في كل المواقف التربوية.

لا ينبغي أن يُظن أن تأثر الطلاب بمواد الدراسة أكبر من تأثرهم بأساتذتهم أو وسائل الإعلام..

ج- شيء أساسي يحتاج الأطفال إلى فهمه وتمثله، هو أننا حين ننظر إلى أي قضية من القضايا الثقافية أو الاجتماعية أو الحضارية، فإننا ننظر إليها من خلال مبادئنا وثقافتنا وخبرتنا، وبما أن كل هذه الأمور تختلف من شخص إلى شخص، ومن مجتمع إلى آخر، فإن من الطبيعي أن يكون إدراكنا للظواهر والأحداث والتصرفات مختلفاً ومتبايناً، أعني أن الموضوعية التي يدعيها كل واحد منا لن تكون أبداً كاملة، بل ستكون نسبية ومنقوصة؛ لنشرح للأطفال كيف أن نظرتنا لـ (الفتوحات الإسلامية) - مثلاً - ستكون مختلفة عن نظرة الأوربيين أو الصينيين، وستكون نظرتهم لحجاب المرأة وتعدد الزوجات وشرب الخمر.. أيضاً مختلفة. وفي المقابل فإن نظرتنا إلى واقع الحياة في الغرب - ولاسيما الأوضاع الأسرية والاجتماعية - أيضاً مختلفة ومتباينة بسبب اختلاف (النظارة) التي ينظر من خلفها كل منا.

ماذا يعني هذا الكلام؟
إن هذا الكلام يعني أن علينا أن نحاول فهم المنطلقات الفكرية والثقافية التي تنطلق منها الأمم - وكذلك الأفراد - من أجل تكوين رؤية واضحة للعالم، ولا يعني هذا تضييع معالم الحق والحقيقة، أو طمس معايير الخير والشر، فهذا لا يصح، فنحن وإن كنا نتفهم أسباب الاختلاف بين الناس، ونعرف الضرورات التي قد تلجئهم إليه، لكننا مع هذا نتمسك بعقائدنا على نحو صارم، ونحاول دائماً أن نكون أمناء وصادقين ومناصرين للحق، وبعيدين عن اتباع الأهواء، ونحن نؤمن أن علينا أن نعامل البشر جيعاً على أسس وأخلاق وقيم واحدة وموحدة.

العقل من غير معرفة جيدة وخبرة ممتازة، قد يطرح حلولاً شكلية للمشكلات، ويقدم أفكاراً مجوّفة..

النتيجة والخلاصة هي أن الأطفال يحتاجون إلى أن نرسخ في أذهانهم أننا مع إدراكنا لصعوبة الموضوعية وصعوبة الحياد المطلق في كثير من الأمور إلا أننا نحاول دائماً أن تكون أدلتنا وبراهيننا صحيحة وقوية، كما نحاول أن تكون مقدماتنا صحيحة، إلى جانب الإصرار على مكافحة الأهواء ومغالبة الضغوط التي تستهدف إخضاعنا لرغبات الآخرين ومصالحهم؛ والله مولانا.

١- الأطفال في حاجة إلى تدريبهم على التفكير الإبداعي لأنهم سيواجهون مشكلات أكثر تعقيداً من المشكلات التي نواجهها اليوم.
٢- لا يبدع الطفل إلا إذا عاش في بيئة، تؤمِّن له أمرين أساسيين، هما الأمان والحرية.

نقاط للتذكر:

٣- الطلاقة مكون أساسي من مكونات التفكير الإبداعي، وهي تعنى القدرة على توليد الأفكار والمصطلحات والتعبيرات المحكمة.

٤- المبدعون حساسون تجاه المشكلات لأنهم يدركون جيداً الفارق بين ما هو كائن، وما ينبغي أن يكون.

٥- المبدعون غريبون عن المجتمع، وذلك لأنهم يطرحون فروضاً، ويعرضون أفكاراً مختلفة عما هو مألوف.

الممارسة هي التي تكشف عن الممانعة التي تبديها الطبيعة حيال الكثير من قراراتنا ومرغوباتنا.

٦- الذي يفكر على نحو إيجابي، يقوم بإدارة عواطفه، ويستخدم اللغة على نحو مشجع ومحفز، كما يحاول أن يرى الوجه المشرق للأشياء.

٧- الطفل في حاجة إلى من يدربه على تلمس المستقبل من أجل تجاوز شدائد الحاضر؛ لأننا لا نريد للأوضاع السيئة أن تؤثر في معنويات الصغار.

٨- التفكير الواقعي هو تفكير من يرى العالم على ما هو عليه من غير تجميل أو تشويه.

٩- يجب أن يعرف الأطفال كل شيء عن أسرهم، لكن في الوقت المناسب.

١٠-النقد هو التقويم، أي كشف مساحات الجمال والقبح والخير والشر في الأشياء، وليس اكتشاف المعائب فحسب.

١١- شجع الطفل على طرح الأسئلة، وحاول أن تكون أجوبتك على أسئلته صحيحة ومنطقية.

١٢- البحث عن الأسباب شيء أساسي في التفكير الناقد، لأن فهم كثير من الأوضاع والأحداث، يتوقف على معرفة أسبابها.

١٣- التحدي الأكبر الذي يواجهنا، ليس اكتشاف النظم المعطوبة، وإنما إيجاد البدائل الصالحة لما نعيبه.

١٤- التفكير الموضوعي يعني فهم الحقائق والأشياء وحسن التعامل معها بعيداً عن الظنون والأهواء والضغوطات الخارجية.

١٥- مهما كنا حريصين على أن نكون موضوعيين، فستكون موضوعيتنا ناقصة ونسبية.

لا هوية من غير فكر، ولا فكر من غير إنتاج فكري، ولا إنتاجاً فكرياً من غير مؤسسات ترعاه وتحتضنه..

تدريبات وتطبيقات

- اضرب أمثلة للطفل توضح له من خلالها الفرق بين الإيجابية والتفاؤل الخادع وأمثلة توضح الفرق بين الشجاعة والتهور.
- يقوم رب الأسرة بين الفينة والفينة بتذكير أسرته بالنعم التي أنعم الله بها عليها، ويجتهدون جميعاً بتعدادها.
- إذا شرحت للطفل بعض المشكلات التي تعاني منها الأسرة، فاختم حديثك بالتفاؤل بوجود مخرج وبتحسن الحال.
- عود الصغار أن يتحدثوا عن أسباب معاناتهم بصراحة وصدق وساعدهم على ذلك.
- يقوم المعلم بتكليف الطلاب بالكتابة حول الميزات والسلبيات التي يمكن أن تحدث إذا أغلقنا المدارس، ووكلنا التعليم إلى الآباء والأمهات.
- اشرح للطفل لماذا لا تكون كل انتقاداتنا صحيحة.
- درب الصغير على استخدام صيغة مهذبة في طرح الأسئلة.
- اطلب من الطفل أن يوضح وجهة نظره في مدى اقتناعه بأجوبتك على أسئلته.
- حين تقع حادثة غير مألوفة أو غير متوقعة، فلنشجع الأطفال على التخمين بالأسباب التي أدت إلى وقوعها.
- حين نعرض على الطفل حلاً لمشكلة ما، ثم يرفضه، فإن علينا أن نطلب منه اقتراح البديل، ثم نناقشه في نجاعة ذلك البديل.

إن تعليم الطالب كيفية استخدام معجم أفضل مئة مرة من أن تحفّظه معاني ألف كلمة في اللغة. درِّب..

- درب الطفل على استخدام كلمات مثل (أظن)، (يمكن)، (ربما)، (لعل)، (قليل)، (كثير)، (بعض) وغيرها من الكلمات الدالة على الاحتمال والنسبية.
- ذكّر الطفل بالمسؤولية التي نتحملها تجاه الكلمات التي نتكلم بها.
- وضح للطفل ضرر الظن السيئ وخطورة قذف الناس ووصفهم بما ليس فيهم.

٣

تكوين المفاهيم

ذكرت في مطلع هذا الكتاب أن الأفكار والمفاهيم تشكل شيئاً جوهرياً في عقلية الإنسان، وبما أننا تحدثنا عن بناء أنواع التفكير لدى الطفل، فإنني أعتقد أن علينا إكمال المشهد من خلال التحدث عن كيفية بناء المفاهيم، وهي قضية في غاية الأهمية، لأن الملاحظ هو أن (قصور المفاهيم) يشكل عاملاً مشتركاً بين كل المشكلات والأزمات التي تعاني منها الأمة، كما أنه يشكل معلماً بارزاً في كل مظاهر التخلف، لأننا إذا اختلفنا في التعريفات والمصطلحات والمواصفات والمعايير، فهذا يعني أننا لسنا متفقين على أي شيء، كما يعني أن الطابع الأساسي لكل منجزاتنا، سوف يكون الفوضى والارتجال، وبالتالي التصادم والتنازع، ثم الاقتتال؛ وإن الذي ينظر إلى تاريخ الحروب الداخلية التي خاضتها الشعوب والحركات والجماعات الإسلامية ضد بعضها، يجد أن لقصور المفاهيم

إن الإبداع ليس سوى التحرر من أسر النمطية وحتميات الطبيعية، والرهبة من مقولات التاريخ..

واختلافها الدور الأكبر فيما حدث، ومن هنا فإنني أشعر أن علي كل المربين الاهتمام بمسألة تكوين المفاهيم والفنيات المطلوبة لذلك، والعمل دون كلل على وضع الأطفال على بداية الطريق في هذا الشأن حتى يتعلموا كيف يصوغون المفاهيم الجيدة بأنفسهم، وإذا تأملنا في مسألة تكوين المفاهيم وتوضيحها، فإننا سنجد أنها لقيت الإهمال شبه التام من قبل معظم المربين في البيوت والمدارس، وذلك يعود - غالباً - إلى أننا حديثو عهد بأمية، كما أن صناعة المفاهيم هي عمل فلسفي أصيل، وهي تتطلب الكثير من الصبر والإتقان والدقة، كما تتطلب قدراً عالياً من التفتح الذهني ورحابة الأفق، وهذا كله غير متوفر عند كثير من الآباء والأمهات. وربما كنا نعتقد أن استخدامنا للغة جيد، وأن مراداتنا من المصطلحات والمفاهيم التي نستخدمها واضحة، ولهذا فإن الأمر لا يحتاج إلى كل هذا التهويل. هذا طبعاً غير صحيح، فاللغة وسيلة قاصرة للتعبير؛ والاختلاف في المفاهيم، وخفاؤها من الأمور الشائعة في كل الثقافات، وقد قال أحد الفلاسفة يوماً: ((إن مفهوماتنا الواضحة تشبه الجزر المتناثرة فوق صفحة المحيط الغامض)) فالغموض والالتباس هو الأصل في المفاهيم التي نتداولها، وليس الوضوح، وحين نفيض في طرح الأسئلة حول أي مفهوم من المفاهيم السيارة، فإننا سنجد الكثير من الاختلاف وسوء الفهم. قد يكون النقاش المفتوح مع الصغار وإلقاء الأسئلة عليهم وتلقيها منهم هو أفضل وسيلة لإنضاج المفاهيم الأساسية

التفكير بالمستقبل قد يكون هو الوسيلة الفضلى لتنظيم الاستفادة من الإمكانات الحاضرة..

وترسيخها في عقولهم. الكبار يلقون على الصغار أسئلة بيانية، تستهدف إثارة أذهانهم، وتدريبهم على التفاعل ومساعدتهم على الفهم، والصغار يلقون الأسئلة على الكبار من أجل معرفة الأسباب والمدلولات والتصنيفات والتقسيمات والعلاقات والتداعيات.. المرتبطة بمفهوم من المفاهيم أو مصطلح من المصطلحات؛ وسأقدم هنا شرحاً لثلاثة مفاهيم، أعتقد أن توضيحها للأطفال بطريقة جيدة، يشكل تدريباً لهم على تكوين المفاهيم من غير معلم أو مربٍ، كما أن هذه المفاهيم تُثري عقلية الطفل، وتحسن مستوى رؤيته للعديد من القيم والقضايا الكبرى:

إن لحيوية الأفكار سلطاناً أعظم مما يظن الناس، لكن ذلك لا يظهر إلا في المدى البعيد...

١- الحوار المثمر:

كلمة (حوار) من الكلمات المطروقة بكثرة في هذه الأيام، حيث ينظر كثيرون إلى الحوار على أنه أداة أساسية لحماية المجتمع من التعانف، كما أنه أداة للتفاهم وتحقيق التسويات المختلفة، كما أن الناس ينظرون إلى الحوار اليوم على أنه جزء من الحقوق الأدبية للإنسان على أخيه الإنسان، إذ من اللباقة والكياسة أن نتقبل نقاش من يريد مناقشتنا في بعض ما نراه، ونذهب إليه، ومن الكياسة والديانة أيضاً أن نناقش من يخالفنا عوضاً عن اغتيابه أو هجره، ومقاطعته، تقول العرب: تحاور فلان مع فلان: تجادلا وتراجعا الكلام، وردّ كل منهما على صاحبه. الحوار إذن يدل على الندية بين المتحاورين وعلى قبول كلا

المتحاورَين بالاستماع لصاحبه، كما يدل على وجود شيء غامض أو مختلف عليه. إن في إمكاننا أن نجعل من الحوار أداة للتعليم والتعلم والتفهيم والتفهم، وأن نجعله أداة للمقاتلة الكلامية وفرصة لإظهار الأحقاد وإهانة الآخرين، ولهذا فإن المفهوم الذي أود شرحه هنا ليس مفهوم الحوار المطلق، وإنما مفهوم الحوار المثمر.

إن كثيراً من الآباء والأمهات لا يملكون الخبرة، ولا يملكون الطاقة الروحية المطلوبة لشرح المفاهيم العميقة على نحو جيد، لكنهم يستطيعون تهيئة الطفل فكرياً وروحياً للحوار في المستقبل، وذلك من خلال تعليمه أدب الحديث وأدب الاستماع، ومن خلال تشجيعه على التعبير عن آرائه بشكل قوي. إذن المسؤولية الأساسية في بناء المفاهيم الكبرى، تقع على عاتق المدارس أولاً، وعلى عاتق الإعلام ثانياً، وإن تكوين العقلية الحوارية لدى الطفل، يتطلب منا أن نثري خبراته بالمفاهيم الآتية:

التفكير المبدع هو الذي يعتمد في استنتاجاته على مقدمات ومداخل غير مألوفة

- لا يهدف الحوار المثمر إلى إشعال الخصومة بين المتحاورين، ولا ينبغي لهم أن يستخدموه أداة لإظهار التفوق على الخصوم أو وسيلة لإظهار الامتياز الشخصي، وإنما يهدف إلى إضاءة النقاط المظلمة، حيث يحاول كل محاور أن يُري محاوره، ما لا يستطيع رؤيته بنفسه، ورحم الله الإمام الشافعي؛ إذ يقول: (والله ما ناظرت أحداً إلا أحببت أن يُظهر الله الحق على لساني أو لسانه). هنا قد يسأل الصغير، وقد يستطرد المربي دون أن يُسأل: ما المخاطر التي يمكن

أن تترتب على استخدام (الحوار) وسيلة لإثبات التمكن العلمي أو التفوق الذهني؟ الجواب هو: أن المسلم يسعى من وراء كل نشاط إلى الفوز برضوان الله تعالى ويحرص على ظهور الحق والوصول إلى الحقيقة، وحين يحيد عن هذا الهدف السامي، فإنه قد يكذب أثناء الحوار، وقد يستدل بأدلة يعرف ضعفها، وقد يفند بعض حجج محاوره، وهو يعلم أنها قوية ودامغة، وقد يحوّل الحوار إلى نوع من الجدل السفسطائي العقيم، كما أنه قد يتخذ منه أداة لاحتقار أخيه المسلم، وكل هذا مما يتنافى مع الصدق والمصداقية والأمانة العلمية، ويتنافى قبل ذلك مع الإخلاص والحرص على الخير.

المخ البشري هو منحة الله تعالى للفقراء الذين حرمت أرضهم من الثروات والموارد.

۞ إذا أردت للحوار أن يكون مثمراً، فاحرص على الشرح المفصَّل لوجهة نظرك، ودعم كل ما تقوله بالبراهين، وحاول أن تستفيد من فرصتك في الكلام على أحسن وجه ممكن، لكن مع هذا لا تنس أن ما تدافع عنه كثيراً ما يكون عبارة عن رأي شخصي، وليس حقيقة علمية ثابتة وقطعية، ولهذا فإنه يحتمل الصواب والخطأ؛ وإن من المهم دائماً هو الوصول إلى الحق. هنا قد يسأل المربي الطفل: إذا كان كل واحد من المتحاورين يعتقد أنه على الحق الواضح، ويعتقد أن محاوره مخطئ في وجهة نظره من غير أي ريب، فكيف سيكون الحوار؟ الجواب هو: سيكون الحوار أشبه بحوار الطرشان! وسينتهي دون تحقيق أي مكاسب علمية، وسنرى تعكراً في القلوب وفساداً في العلاقات.

◉ المحاور الجيد يحرص على سماع محاوره، والاستفادة منه، إنه يطبق القاعدة العظيمة: (عامل الناس كما تحب أن يعاملوك) ولهذا فإنه كما يطلب من محاوره الإصغاء إليه، فإنه يصغي إلى محاوره، ويتابعه بجدية. يمكن للطفل هنا أن يسأل: فإذا أطال المحاور في شرح وجهة نظره أو صار يكرر كلامه من غير فائدة، فهل علي أن أسمعه إلى ما لا نهاية؟ الجواب: شيء جيد أن يكون هناك شخص ثالث يوزع الوقت بين المتحاورين، ويعطي فرصاً متساوية لكل منهما حتى يعبر عن وجهة نظره، وإذا لم يتوفر ذلك الشخص، فيمكن أن يتفق المتحاوران فيما بينهما على ذلك.

التخلف الحضاري والمعرفي يضعف شهية الناس للتساؤل، وحين يتساءلون فإنه يمدهم بأجوبة وهمية..

◉ الحوار المثمر، لا يكون حواراً حول كل شيء، كما يجري الآن في مجالس سمرنا، وإنما يكون له موضوع محدد، يلتزم المتحاوران بالبقاء في إطاره، حتى لا يضيع الوقت سدى، وحتى لا تتشتت أذهان الحضور، وحتى يمكن تقييم الحصيلة المعرفية والفكرية للحوار. هنا يسأل الطفل: وماذا لو أن محاوري خرج عن الموضوع المحدد، ماذا أفعل؟ الجواب: توقف عن الحوار، وقل له: هذا ليس موضوعنا، والشيء الذي تتحدث عنه، لا يثير اهتمامي، وعلينا العودة إلى ما اتفقنا عليه.

◉ إذا كان الحوار بين فريقين، فقد يحدث أن يتجاهل أحد المتحاورين أعضاء فريقه، ويستأثر بالحديث دونهم؛ وهذا شيء خطير لأنه يدل على أنانية فاعله، وقد يعكر قلوب الأعضاء الذين تم تهميشهم، كما أنه يحرم الحوار من بعض الأفكار الجيدة التي يمكن أن يقدموها.

عند هذه النقطة قد يقول المربي: إذا كان بعض أعضاء الفريق يميل إلى الصمت، أو ليس لديه ما يقوله، أو يغلب عليه الحياء أو الخوف.. فما العمل؟ الجواب: نحن لا نشترط أن يتكلم الجميع على قدم المساواة، لكن نشترط أن يشعر الكل أن أمامهم فرصة للتحدث، وأن يطلبوا من بعضهم بعضاً المشاركة في الحوار.

- لندرب الطفل على أن يشجع محاوره على أن يقول كل ما عنده، وذلك من خلال النظر في وجهه، ومن خلال تحريك الرأس على نحو يدل على الوعي بما يقول وعلى المتابعة له، وأيضاً من خلال النطق بكلمات من نحو: (جميل)، (ممتاز)، (جيد)، (واضح)، (تمام)، (لطيف)، (طيب)... إن هذه الألفاظ إلى جانب تحفيزها للمحاور، فإنها تجعل أجواء الحوار ندية ولطيفة، و تخفف من التوتر الذي يمكن أن يخيم عليها في أي وقت.

إن الزغل في العلم لا يقتصر على طرح المعرفة الهشة، وإنما يتجاوزه إلى الإطناب في بحث القضايا الجزئية وشغل الناس بها..

- إذا علت نبرة محاورك، واحتد في جداله، فاحلم عليه، وحاول استيعابه من خلال خفض صوتك وإعطائه فرصة أكبر ليدافع عن نفسه، ومن خلال الثناء على بعض أفكاره، وذكر المتفق عليه بينك وبينه. هنا قد يقول الصغير: لكن هذا قد يجعله يشعر أنه تفوق عليَّ، وأني أحاول استرضاءه؟ الجواب هو: أن المسألة ليست مسألة هزيمة أو انتصار، فالمحاور الجيد لا يهتم بهذا، وإنما المهم عنده هو توفير جو حواري هادئ وودي ومثمر.

- علينا من خلال حواراتنا مع الطلاب في المدارس أن ندربهم

على تجنب الألفاظ التي تحمل أكثر من معنى والألفاظ الغامضة والفضفاضة في دلالتها، وذلك من أجل جعل الحوار، يفضي إلى نتائج محددة وواضحة، هذا طفل يقول: لا يجب على أن أحاوره بصوت هادئ. هذا التعبير يفيد نفي الوجوب، مما يعني أنه يجوز له فعل ذلك، وهذا غير صحيح، وعليه أن يقول: لا ينبغي لي أو لا يصح لي أن أرفع صوتي أثناء الحوار، أو يقول: يجب على أن أحاور بصوت هادئ. وهذا طفل يقول: أنا لا أصدق فلاناً فيما يقوله. وحين سئل عن سبب ذلك قال: إنه لا يملك دليلاً على كذبه، لكنه غير مطمئن له. هذا كلام غير ملائم في مثل هذا الموقف، إذ إن عليك أن تقبل كلام محاورك، أو ترده عبر استخدام الأدلة والبراهين الواضحة والمقنعة.

كان كثير من علماء هذه الأمة لا يثقون بعلم العالم حتى يرحل في طلب العلم، ويأخذ عن عدد كبير من الشيوخ.

هذا طفل ثالث يقول لأعضاء الفريق الذين يحاورهم: كل ما ذكرتموه خلال هذا الحوار كلام مرفوض، وبعيد عن الصحة. وهذا كلام غير دقيق، لأن من الصعب أن نرفض على نحو كلي كلامَ فريق من المحاورين، وكان عليه أن يقول: إني لا أوافق على معظم ما قلتموه أو كثير مما قلتموه. والأولى من هذا وذاك الإعراض عن التقييم الإجمالي، والعمل على مناقشة الأفكار المطروحة فكرة فكرة.

لنشرح للطفل أن الحوار هو فرصة للتعلم والتبصر وزيادة الوعي، ولهذا فإن على المحاور إذا لم يفهم كلام محاوره، أو وجد أنه فوق مستواه.. أن يستوضح منه، ويحاول استيعاب ما يسمعه على نحو جيد. قد يقول الصغير: لكن هذا يجعلني أظهر بمظهر الضعيف في إدراكه وفهمه،

وهذا يفقدني الشعور بالندية لمحاوري؟ يمكن أن يكون الجواب هو: هذا غير مهم لأن الحوار ليس ساحة للمبارزة، وإنما مناسبة لزيادة الوعي وكشف الغوامض، ومهما يكن الأمر، فإن الاستفهام يظل أفضل من ادعاء الفهم وإظهاره دون أن يكون له وجود.

۞ على المرء أن يستعد للحوار، وذلك بأن يرتب أفكاره قبل الدخول في أي حوار، وأن يحدد الأسئلة التي سيطرحها أولاً، وكذلك أن يحدد المسائل التي سيركز عليها أثناء الحوار، بالإضافة إلى استعراض الأدلة والبراهين التي سيقدمها، واستبعاد الضعيف منها لأن البرهان الضعيف، يُستخدَم ضد من يقدمه. ويشمل الاستعداد للحوار كذلك التفكير في طروحات المحاور وحججه وكيفية مناقشة فيها. وأكرر مرة أخرى أن الهدف من كل هذا ليس تحقيق الغلبة وإنما إنجاح الحوار، وجعله حياً ومثمراً والعمل على معرفة الحقيقة.

إن الذي نكافأ عليه ليس كوننا نملك عقولاً، ولكن استخدامنا لتلك العقول..

۞ من الأمور التي تسمم الكثير من حواراتنا ما نجده من تعصب المتحاورين لأفكارهم، والدفاع المستميت عنها، مما يجعل أجواء الحوار متوترة وكئيبة، ولو أن المحاور المسلم اتبع المقولة المشرقة: ((مذهبنا صواب، يحتمل الخطأ، ومذهب غيرنا خطأ يحتمل الصواب)) لذهب الكثير من حماستنا، ولصارت المناظرات الحامية مطارحات ثقافية هادئة. قد يقول طالب المدرسة: إن على المرء أن يكون واثقاً من أفكاره، كما أن عليه أن يطرحها بقوة وحسم، وما تذكرونه يخالف ذلك؟ والجواب على هذا هو أن رؤيتنا للحياة

تتشكل من عقائد قطعية، ومن آراء ورؤى ظنية واجتهادات خاصة، وعلى المرء ألا يفاوض، أو يساوم على ما لديه من أمور يقينية، أما الأفكار الظنية والاجتهادية، فإن نتائج الحوار قد ترسِّخها في نفوسنا، وقد تخلصنا منها بسبب ظهور ضعفها، ونحن الكاسبون في الحالتين. إن مسيرة الحضارة، لن تتغير، ولن تنقلب الدنيا رأساً على عقب إذا وافق زيد من الناس عمراً في رأيه، أو خالفه، فالأمر أبسط من ذلك بكثير، ولكن الأنانية الخفية هي التي تدفع في اتجاه الاهتمام المبالغ فيه بنتائج الحوار.

- من المهم أن نعلّم الطفل وأن ندربه على أن يعبر عن آرائه بأدب ولطف، ويجب أن نقنعه بأن الغلبة في الحوار، ليست شيئاً نسعى إليه، وهي على كل حال لا تتم من خلال رفع الصوت والاقتطاع من حصة المحاور من الوقت، ولا بالسيطرة على المجلس، كما أن المرء يستطيع شرح أفكاره وإقناع محاوره من غير أن يستخدم الكلمات الجارحة والألفاظ القاسية؛ إنه لا يصح في أي حال أن يتحول الخلاف في الأفكار إلى خلاف شخصي بين المتحاورين، لأن ذلك سيعنى الخروج عن الموضوعية وعن حدود التهذيب واللباقة.

ليس هناك أسوأ من منظر شاب شاكٍ باكٍ يائسٍ...

- النقطة الأخيرة في حديثنا عن مفهوم (الحوار المثمر) تتعلق بإنهاء الحوار، حيث إن المرء حين يحاور غيره، يكون متطلعاً إلى الوصول إلى شيء نافع، فإذا وصل المتحاوران إلى طريق مسدود، فإن عليهما إنهاء الحوار، أو الانتقال إلى موضوع جديد. علامة الوصول إلى

طريق مسدود واضحة، وهي كثيراً ما تتمثل في تكرار الطروحات والأدلة والردود، وحينئذ يشعر الجميع أن النقاش لا يتقدم لعدم وجود جديد وعدم وجود نتائج، وفي هذه الحال، فإن الحكمة تكون في التوقف عن اجترار الأفكار والمقولات، لأن ذلك يوفر الجهد والوقت، ويساعد على إبقاء النفوس أقرب إلى الهدوء والوئام.

لكنني أرى أن علينا في آخر كل حوار أن نحرص على أمرين:

الأول: خفض التوتر، والتعبير عن التقدير لمن نحاوره، بالإضافة إلى التأكيد بأن الخلاف في الرأي والموقف لم يؤثر في العلاقة الروحية التي ينبغي أن تسود بين الأصدقاء والزملاء، وإذا أمكن ختم الحوار بطرفة رقيقة تُنعش الجميع يكون ذلك شيئاً جميلاً.

الألم شيء محتوم، لكن التعاسة شيء اختياري.

الثاني: تلخيص ما تمخض عنه الحوار، حيث سنجد أن هناك أموراً، تم الاتفاق عليها، كما سنجد أموراً أخرى ما زالت موضع نزاع، وهذا طبيعي، إذ ليس المطلوب من الحوار الاتفاق على كل شيء؛ وإن توضيح كل ذلك يحسّن درجة وعي المتحاورين بالموضوع الذي كان محلاً للنقاش.

٢- الحكم على الأشياء:

نحن ندعو إلى التربية الحرة، كما ندعو إلى تربية الطفل المستقل والمهيأ لتحمل قدر كبير من المسؤولية، ومن هنا فإن من الطبيعي أن نشجع الأطفال على أن يكون لهم حكمهم الخاص على ما يرونه،

بل إن علينا أن ندربهم على ذلك إذ إن موقف الصغير من الأحداث والأشياء ينعكس على عقليته، فإذا كان خاطئاً، فإنه يسهم في تشويه تلك العقلية. وإذا كان من حق الطفل أن يصدر أحكامه على ما يدور في محيطه، فإن من المهم أن يعرف أن للحكم على الناس والأحداث أصولاً وقواعد وأدبيات لابد من الالتزام بها، وإلا فإنه يؤذي نفسه وغيره، وإليك بعض الملاحظات التي تتصل بهذا المفهوم:

التريث في إصدار الأحكام خلق عظيم وعادة حميدة، لأن الإنسان مسؤول أمام الله تعالى عن كلامه، حيث يقول سبحانه: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[1]. وحين سأل معاذ ﷺ رسول الله ﷺ إن كان الناس مؤاخذين بما يتكلمون به، أجابه بقوله: «ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم»[2].

لا أحد يستطيع أن يؤذيك دون رضاك.

نحن نعرف أن الأطفال لا يعقلون هذا المعنى على الوجه الذي نريد، ولهذا كان تدريبهم على إمساك اللسان والتروي قبل النطق بأي شيء أمراً مهماً. ونحن لا نستطيع أن نفيدهم في هذه المسألة - ومعظم المسائل الأخرى - إذا لم نكن نحن أنفسنا ممن يتثبت ويتريث في إصدار الأحكام، هذا طفل يقول: إن معلمي لا يحبني، وحين يُسأل عن سبب ذلك، فإنه يقول: لأنني في إحدى المرات تكلمت من غير إذنه. وطفل ثان يقول: ابن جيراننا يتجسس علي، وحين قيل له،

١- سورة ق: (١٨).

٢- خرجه أحمد والترمذي والنسائي.

كيف عرفت ذلك؟ قال: رأيته واقفاً أمام باب دارنا.. وإذا فتشنا في الحالتين وجدنا أن التعليل غير صحيح، وبالتالي فإن حكم الصغير أيضاً غير صحيح، ويكون علينا - كما يفعل كثير من الآباء - آنذاك أن نوضح للطفل أنه أخطأ في تفسير موقف معلمه وابن جيرانه.

۞ كثيراً ما يعتقد الطفل أن الكبار دائماً على حق، ولاسيما أباه وأعمامه وأخواله وأساتذته؛ إنهم قدوات في نظره، ومن هنا فإنه يرى أن ما يفعلونه جائز ومقبول، وكذلك ما يقبلونه، ويمدحونه، كما يرى أن ما يرفضونه، ويذمونه لا بد أنه شيء مذموم، وهذا الموقف من الطفل بدهي لأنه يتعلم من الكبار كل شيء، فلماذا لا يتعلم هذا الأمر؟ القرآن الكريم بينّ للناس أن الآباء والأجداد، قد لا يكونون على حق، ومن ثم فإن متابعتهم تقود إلى الهلاك؛ وقد قال عزّ وجلّ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾[3]. وقد حذرنا القرآن الكريم من أن يغوينا الشيطان ويوقعنا في المعصية كما فعل بأبوينا آدم وحواء من قبل، حيث قال سبحانه: ﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ ﴾[4].

ليست الأحداث والأشياء هي التي تصنع مشاعرنا، وإنما الطريقة التي ننظر بها إلى الأحداث والأشياء..

إن من مسؤوليتنا نحن الكبار أن نوضح للصغار أن أحكامنا التي

٣- سورة البقرة: (١٧٠).
٤- سورة الأعراف: (٢٧).

نصدرها على الأشياء والأحداث، لا تكون دائماً صحيحة، وأن ما نفعله لا يكون دائماً صواباً أو مباحاً، كما أننا قد نتكاسل، ونتقاعس عن أمور كان ينبغي علينا القيام بها. ونحن الكبار قد نبذل جهدنا كي نصل إلى الحكم السديد، ثم لا نتمكن من ذلك، كما أن أهواءنا تتغلب علينا أحياناً، فلا نقول الحق الصريح، بل قد نقول الباطل، وسكوتنا نحن الكبار عن أمر لا يدل على أنه مباح، فقد نسكت خوفاً من وقوع فتنة، وقد نسكت حياء ممن وقع في الخطأ، كما أننا قد نسكت لأننا لم ننتبه لما حدث، أو لأننا لم نكترث به مع شناعته. هذه التوضيحات في البيوت والمدارس من الأمور المهمة، وإن كنا نشعر بمشقتها وعظم مؤونتها، لكن من الذي قال: إن التربية أمر سهل، ومن الذي يقول: إن تمحيض النصح للجيل الجديد شيء من غير ثمن؟ لكن هذه المعاني حتى تكون واضحة وملهمة، فإن علينا أن نجعلها جزءاً من سلوكاتنا ومواقفنا اليومية.

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجني عليه اجتهاده

يحتاج الأطفال إلى من يرشدهم إلى نوعية الحكم الذي يصدرونه هل هو: حكم شخصي خاص؛ أو هو حكم ذوقي أو قانوني أو اجتماعي أو شرعي؟ حين يُخرج المعلم أحد الطلاب من الفصل عقوبة له، ويقول أحد الأطفال من زملائه: إن الطالب يستحق ذلك، أو يقول إن المعلم كان قاسياً حين فعل ذلك. هذا الحكم من الطفل حكم شخصي، والحكم الشخصي يظل قابلاً للصواب والخطأ، ومن هنا فينبغي أن نعبر عنه برفق؛ ويمكن أن ندرب

الأطفال على ذلك، أما إذا اشترى الوالد لابنه قميصاً، ولم ينل لون ذلك الثوب إعجابه، وحين تعد الوالدة لابنها نوعاً معيناً من الطعام، ثم لا يستسيغه، فإن الحكم في هاتين الحالتين يكون ذوقياً. والحكم الذوقي لا يوصف - في الغالب - بأنه صائب أو خاطئ، إذ إن لكل واحد من الصغار ذوقه الشخصي الذي لا يحتمل أي نقاش. وهكذا فإننا نستطيع تعليم الطفل ألا يعترض على ملابس بعض إخوته أو بعض زملائه، وألا يعترض على تنظيم خالته لأثاث بيتها؛ لأن المسألة ذوقية. أحياناً يكون الحكم الذي يصدره المرء مبنياً على عرف اجتماعي، وعلى سبيل المثال فإن الناس يستقبحون في بعض المجتمعات أن يجلس ابن صاحب البيت أمام ضيوف أبيه، وإنما عليه أن يظل واقفاً متأهباً لخدمتهم، وبعض المجتمعات لا ترى أن من الملائم أن يُسأل الضيف: هل هو جائع؟ وإنما على صاحب البيت أن يبادر إلى وضع الطعام دون أن يسأله عن حاله. الحكم ذو المرجعية الاجتماعية، يتبدل، ويتغير من بلد إلى بلد ومن زمان إلى زمان، ولهذا فإن مخالفته قد تكون في بعض الأحيان شيئاً جيداً، حيث إن الناس قد تخلصوا من كثير من الأعراف السيئة نتيجة تمرد بعض الأفراد عليها. إلى جانب هذه الأحكام، هناك حكم مصدرُه التنظيمات والقوانين السارية، وهناك حكم شرعي، وعلى سبيل المثال فإن الصيد في محمية طبيعية، شيء يمنعه القانون، والقانون يتغير، وقد يكون جائراً، ولهذا فإن الأحكام القانونية تقبل النقاش

ستكون الواقعية شيئاً سيئاً إذا كانت ستؤدي إلى الاستسلام للظروف الصعبة والمعطيات الرديئة..

والاعتراض، أما الحكم بمنع المحرم من الصيد، فإنه حكم شرعي تعبدي، والأحكام الشرعية، يتعرف عليها المسلم كي يطبقها، ويمتثل لها، يقول الله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾(٥). إن علينا أن نستثمر هذه النقطة في تنمية الإيمان لدى الأبناء، وفي تنمية الولاء والانتماء لهذا الدين، كما أن علينا أن نستثمرها في توضيح المرجعية الفكرية للإنسان المسلم.

يحتاج الصغار والكبار إلى أن يكونوا دقيقين في صياغة الأحكام التي يصدرونها؛ والحقيقة أن الدقة في استخدام اللغة تعبر دائماً عن تقدم في الفكر وارتقاء في المعرفة، وللتدريب تأثير كبير في هذا، لأن من المعروف أن الناس يتعودون استعمال عبارات محددة دون الوعي بمدلولها الدقيق، هناك – مثلاً – من يستخدم كلمة (حرام) للدلالة على كل ما لا يعجبه، وهناك من يستخدم كلمة (ممتاز جداً) للدلالة على ما يحوز رضاه، مع أنه قد لا يكون على هذه الدرجة من الجودة، وإنما يكون حسناً أو مقبولاً أو جيداً وهكذا.. إن تصحيحنا المستمر لتعبيرات الطفل، سوف يحسِّن معرفته بمدلولاتها، ويوجد لديه عادات كلامية جديدة. شيء حسن أن نوضح للصغار أننا حين نقول: حرام، أو نقول: واجب أو جائز، فإنا – في الغالب – نستخدم مصطلحا شرعياً محدداً، وعلينا الالتزام بما ينص عليه الفقهاء في

التسويف هو القبر الذي يواري فيه كثير من الناس الكثير من الطموحات والآمال والإنجازات العظيمة التي يمكن لهم أن يحققوها..

٥- سورة النساء: (٦٥).

ذلك؛ فالعمل قد يكون مندوباً أو مستحباً أو مسنوناً أو واجباً، كما أنه قد يكون مكروهاً أو محرماً أو مخالفاً للأولى، ولابد أن نصفه بما يستحقه شرعاً وفقهاً دون تجاوز أو تساهل. ومن وجه آخر فإن هناك كلمات تدل على (ذوق) مستخدمها وتهذيبه، ويحسن أن نرشد الأطفال إليها مثل (لطيف)، (لائق)، (مناسب)، (غير مناسب) ونعلمهم حيثيات استخدامها.

قالت العرب: تكلموا تعرفوا.. وطريقة كلام المرء وأسلوبه في اختيار عباراته، مرآة حقيقية لعلمه وفنه وذوقه...

۞ علينا أن نعترف أننا كثيراً ما نبالغ في حب أنفسنا وأولادنا وأقربائنا، وأننا نعتز بكثير مما يتصل بنا، فهناك من يمدح أسلوبه الشخصي في الحياة، وهناك من يمدح آباءه وأجداده، كما أن هناك من يمتدح داره وأثاث بيته والجامعة التي درس فيها.. في المقابل فإن كثيرين منا، يواجهون، أو يعبرون عن غيرتهم من الآخرين وحسدهم لهم من خلال التهوين من شأن إنجازاتهم والحط من قيمة ممتلكاتهم؛ وهذا يتصل بالظلم والحيف. القرآن الكريم يوجهنا في الحالة الأولى إلى أن نحمد الله تعالى على ما أفاءه علينا من نعمه، على خلاف ما يفعله بعض الناس من الأشر والبطر والمباهاة، كما أنه يوجهنا كذلك إلى أن نتهم أنفسنا بالتقصير، ونحاول محاسبتها على أخطائها عوضاً عن التحدث عن محاسنها ومناقبها. ويبدو أن غمط الناس حقوقهم والتهوين من شأنهم، مسألة قديمة قدم التاريخ، فهذا شعيب عليه السلام ينهى قومه عن ذلك حين يقول: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ

وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[6]. ويقول سبحانه في النهي عن تمجيد الذات: ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾[7]. ويذكر لنا القرآن الكريم في سياق آخر: أن الرفع من الشأن الشخصي هو عمل شيطاني، فهذا إبليس يفضّل نفسه على آدم عليه السلام حين يقول: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾[8].

حين يجد الطفل أن كل ما حوله كامل فكيف يكون هو ناقصاً..

الاغتباط بالحقيقة شأن من شؤون النفوس الكبيرة..

إن كثيراً من الأطفال في بيئاتنا الإسلامية يسمعون يومياً العبارات التي تحط من شأن الأعداء، وترفع من شأن الأهل والأقرباء، وهذا يشكل عقلياتهم على نحو مشوّه لأننا نعتقد أن الوعي بالذات فرع عن الوعي بالآخر، أي أن الآخرين من أعداء ومخالفين هم لنا أشبه بالمرآة، فإذا شوّهناهم، ووصفناهم بما ليس فيهم، فإننا نكون قد حرمنا أنفسنا من الرؤية الصحيحة لأوضاعنا وأحوالنا، وفي هذا إساءة بالغة للذات، وحرمان أكيد لها من النقد الذاتي والموضوعي. يجب أن نسمع من الأطفال ما ينطوي على قول الحق المجرد، ولو كان يمس مصالحنا، أو يخالف أهواءنا ورغباتنا، كما يجب أن ننهاهم

٦- سورة الأعراف: (٨٥).
٧- سورة النجم: (٣٢).
٨- سورة الأعراف: (١٢).

عن قول الباطل، ولو انطوى على الثناء على الذات، وستر العيوب وتحقيق المصالح، فالمسألة مسألة قيام الله تعالى بالقسط والعدل، وليست مسألة ربح أو خسارة.

٣- الصداقة:

مفهوم (الصداقة) من المفاهيم التي تثير الكثير من الأسئلة عند الأطفال في وقت مبكر، وهو إلى جانب ذلك مفهوم مهم للغاية، لأن الإنسان لا يستغني عن وجود أصدقاء جيدين، والأطفال أشد حاجة إلى ذلك من الكبار، حيث إن من الملاحظ أن تعلق الطفل بأصدقائه تعلق كبير جداً، وهم يؤثِّرون فيه تأثيراً كبيراً. فمن هو الصديق؟

الإنسان المتوحش نشأ أصلاً في بيئة متوحشة، والإنسان الرقيق اللماح، اكتسب ذلك من بيئة تقدر هذه الصفات..

الصديق في لغة العرب: هو ذلك الصاحب الصادق في مودته ومحبته، إنه ذلك الذي يشتاق إليك، إذا غبت عنه، وذاك الذي يملك القدرة على أن يضحي بشيء من وقته وماله وجهده من أجلك، وإنه ذلك الذي يرجو لك الخير، فلا يحسدك على نعمة تصيبها، كما أنه لا يشمت بك إن أصابتك مصيبة، وهذه الصفات الجميلة حين تتوفر لدى شخص، فإنها تدل على نيله درجة من النبل وكرم النفس، لكن توفرها يكون دائماً متفاوتاً في أصدقائنا، لذلك يمكن أن نقول: إن الأصدقاء درجات، والأصدقاء الممتازون، لا يكونون في العادة كثيرين، وإذا ظفر أحدنا بثلاثة أو أربعة من الأصحاب الذين تتوفر فيهم الصفات التي ذكرناها، فذلك فضل كبير من الله؛ تعالى.

الآن سنحاول تخيل ما يخطر في بال الأطفال من أسئلة حول (الصداقة) وسنحاول الإجابة عنها بغية إثراء هذا المفهوم، وسيكون على المربين مناقشة هذه الأسئلة والأجوبة مع الأطفال، والعمل على الزيادة فيها، حتى تتبلور مدلولات هذه الكلمة ومعانيها في أذهانهم على أحسن وجه:

الطفل: هل كل الذين نختلط بهم يكونون أصدقاء لنا؟

المربي: طبعاً لا، فهناك الأقرباء وهناك الزملاء في العمل والدراسة، وهناك الجيران، وهناك المعارف الذين نلتقي بهم في جلسة سمر عند أحد الأقرباء... إن كل واحد من هؤلاء قد يكون صديقاً، وقد لا يكون، فابن العم - مثلاً - قد يكون صديقاً، وقد يكون قريباً فحسب، والصديق قد يكون جاراً لنا، كما أن الجار قد لا يكون صديقاً.

الطفل: هل كل من نعده صديقاً يكون موثوقاً؟

الطفل: هل يمكن لبعض الأشخاص أن يتحدثوا مع بعضهم دون أن يكونوا أصدقاء؟

المربي: هذا كثير جداً، فنحن نتحدث مع أشخاص لا نميل إليهم، أو لا نحترمهم، كما أننا قد نتحدث مع أشخاص، ليس لنا بهم سابق معرفة، وتجري محادثات مطولة بين كثير من الأعداء في بعض الأحيان.

الطفل: هل يظل الناس أصدقاء مع أنه لا يحادث بعضهم بعضاً إلا نادراً؟

المربي: نعم هذا ممكن، لكن من المعروف أن ندرة التحادث بين

المراجعة والنقد الذاتي يسببان آلاماً للناس، لكنهما يمثلان الخطوة الأولى على طريق إيقاف التدهور..

الصديقين تُحدث نوعاً من التباعد بينهما، فلا يستعين أحدهما بالآخر، ولا يستشيره، ولا يعرف الكثير من أحواله وأوضاعه، وهذا يُضعف عرى الصداقة، ويوهن تبادل المشاعر الحميمة.

الطفل: هل هناك من يتشاجر مع أصدقائه؟

المربي: جوابي لك يتوقف على المراد من الشجار، فهل تقصد بالشجار الاختلاف في الرأي؟ إذا كنت تقصد هذا، فالجواب: نعم. الأصدقاء كثيراً ما يختلفون حول بعض المسائل، أما إذا كان المقصود بالخلاف رفع الصوت والسباب والسخرية فهذا لا يقع بين الأصدقاء إلا نادراً. إما إذا كان المراد من الشجار الضرب وإيقاع الأذية والضرر، فالصديق لا يضرب صديقه، ولا يؤذيه متعمداً.

كثير من الناس لا يتبلور إحساسهم بالعدل إلا إذا تعرضوا للظلم.

الطفل: هل هناك أصدقاء، لا يتشاجرون مع بعضهم؟

المربي: ذكرنا أن من الطبيعي اختلاف وجهات نظر الأصدقاء حول بعض الأمور، ومن النادر أن نجد صديقين متفقين في كل شيء، أما الشجار العنيف فلا يقع بين الأصدقاء الحقيقيين.

الطفل: هل يمكن للمرء أن يصادق أعداءه؟

المربي: لا يمكن للمرء أن يكون صديقاً وعدواً لك في آن واحد، لأن الصديق يتمنى لك الخير، ويضحِّي من أجلك، والعدو يحاول إيقاع الضرر بك بكل وسيلة، لكن إذا غيرّنا السؤال ليصبح: هل يمكن أن يتحول العدو إلى صديق؟ هنا نقول: نعم لأنه إذا زالت أسباب العداوة، فإن الطريق يصبح مفتوحاً لنشوء الصداقة، وقد عادى نبينا

محمد ﷺ كثير من الناس وسبّوه وقاتلوه، لكن بعد ذلك أسلموا، وصاروا يفدونه بأرواحهم؛ وبعض الأعداء يمكن إنهاء عداوته من خلال الإحسان والصفح والعفو، على نحو ما نجده في قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾[9].

الطفل: هل يمكن اتخاذ الصداقة وسيلة للتقرب إلى الله؛ تعالى؟

المربي: لا شك في ذلك، إذا كانت الصداقة قائمة على تقوى الله، وكان البر المتبادل بين الصديقين خالصاً لله تعالى منزهاً عن المصالح الدنيوية، فالإسلام يريد من أبنائه أن يكونوا متحابين متآلفين، ولهم على ذلك الأجر العظيم من الله تعالى على نحو ما نجده في حديث معاذ بن جبل عن رسول الله ﷺ **«وجبت محبتي للمتحابين فيّ وللمتجالسين فيّ، وللمتزاورين فيّ، وللمتباذلين فيّ»**[10].

جهودنا التربوية عبارة عن خدمة نقدمها للذين نقوم على تربيتهم وبعضنا يحولها إلى نوع من الاستعباد!.

الطفل: هل هناك صداقة دائمة؟

المربي: الأصل في الصداقات أن تستمر، وذلك كثيراً ما يكون من خلال حرص الصديقين على رعايتها والقيام بحقوقها، لكن الواقع يشهد بأن ظروفاً كثيرة تطرأ، فتفتر بعض الصداقات كما أن كثيراً منها يتبدد بسبب سفر أحد الصديقين إلى مكان بعيد. هذا على مستوى الأفراد، أما على مستوى الدول فالصداقات تقوم أصلاً على أساس

٩- سورة فصلت: (٣٤).

١٠- رواه مالك بإسناد صحيح.

المصالح المشتركة، فإذا انتفت المصلحة، فإن الدول في العادة لا تتحمل أعباء الصداقة.

الطفل: كيف يمكن أن أحصل على صديق؟

المربي: لا أحد يبحث في الشوارع أو في المجالس عن أصدقاء، لكن ظروف الحياة اليومية، تجمعنا بالكثير من الناس، ومن هؤلاء الأشخاص الذين نلتقي بهم نختار أصدقاءنا. والحقيقة أن عملية اختيار الصديق هي عملية اكتشاف؛ والأطفال من خلال الاحتكاك مع أبناء الأقرباء والجيران، ومن خلال الزمالة في المدرسة واللعب مع أبناء الحي، يكتشفون أولئك الموافقين لهم في طباعهم وأوضاعهم، ويقومون بالتالي بمصادقتهم.

تفيد بعض الدراسات أن الطالب الذي تتوالى عليه الضغوط، يجد نفسه غير قادر على تحديد أولوياته على نحو جيد..

الطفل: لماذا يخيّب بعض الأطفال ظن أصدقائهم فيهم؟

المربي: حين يختار الطفل طفلاً آخر ليكون صديقاً له، ثم يتبين له أنه لا يصلح لذلك، فهذا يعني أن عملية الاكتشاف لم تكن صحيحة، وشيء طبيعي أن لا يملك الأطفال المقدرة المطلوبة لذلك، من هنا وجب أن نوضح أن من المألوف جداً أن يخيب ظن الطفل في بعض أصدقائه، كما أن من المألوف أن يصادق خمسة أو ستة من الأطفال، ثم لا يبقى له إلا صديق واحد، وقريب من هذا يحدث مع بعض الكبار.

الطفل: هل هناك أشخاص لا أصدقاء لهم؟

المربي: الأشخاص الذين لا أصدقاء لهم قليلون جداً، حتى المجرمون واللصوص والمنحرفون يجدون أشخاصاً على شاكلتهم، يقيمون

علاقات حميمة معهم، لكن لا بد من القول: إن هناك أطفالاً محبوبين وطيبين، ولهذا فإن كثيراً من الأطفال يُظهرون لهم المودة، ويحبون الاقتراب منهم، وفي المقابل هناك أطفال مشاكسون وأطفال انطوائيون، وهؤلاء وأولئك لا يكون لهم إلا القليل من الأصدقاء، وإن على كل طفل أن يكون من الفئة المحبوبة حتى يتمتع بوجود عدد كبير من الأصدقاء الذين يبادلونه الحب.

الطفل: كيف نرعى الصداقة؟

المربي: العلاقات الاجتماعية على اختلاف أنواعها تشكل مصدراً كبيراً لإسعادنا وطمأنينتنا، ولهذا فإن علينا أن نحرص عليها، والحرص عليها يتجلى في شيء واحد، هو (التضحية) من أجلها.

من غير احترام المربين لذلك الكائن الذي اؤتمنوا عليه، لا تكتمل معرفتهم به..

رعاية الصداقة تتم من خلال ثلاثة أمور:

أ- الكرم والبذل بين الأصدقاء، هذا صديق يدعو صديقه إلى بيته، وهذا صديق يسمح لصديقه أن يركب معه في سيارة أهله يومياً إلى المدرسة، وهذا صديق لا يترك مناسبة جميلة حتى يقدم هدية إلى صديقه...

ب- الحرص على مصلحة الصديق، فالأطفال يحبون آباءهم وأمهاتهم لأنهم يجدون منهم حرصاً منقطع النظر على مصالحهم، وكذلك الصديق يحرص على مصلحة صديقه، ويساعده على تحقيقها، وهذه المصلحة قد تكون دينية وأخلاقية، وقد تكون مادية، ومن

أهم ما يمكن للصديق أن يساعد فيه صديقه الاستقامة والبعد عن الأخلاق السيئة، والصديق الصدوق ينصح صديقه ويوضح له عيوبه، ويساعده على التخلص منها.

ج- تحمل أذى الصديق والصبر عليه، لأن الصديق قد يؤذي صديقه من غير قصد، وقد يضايقه نتيجة مروره بلحظة ضعف.. وحين يريد المرء للصداقة أن تستمر فلا بد من أن يغض الطرف عن أخطاء صديقه، ويتغافل عنها.

شرح هذه المفاهيم وأشباهها للأطفال، يحتاج إلى وقت وصبر وقد يتطلب منا نحن الكبار أن نثقف أنفسنا أولاً، وفي هذا خير عظيم، فما أجمل أن نتعلم ونعلم، ونربي أنفسنا وصغارنا في آن واحد.

نحن في الحقيقة لا نستطيع فهم أي شيء بعمق إلا إذا فهمنا تاريخه..

نقاط للتذكر:

١ - قصور المفاهيم هو القاسم المشترك بين كل الشعوب المتخلفة.

٢ - صناعة المفاهيم، عمل فلسفي أصيل، وتتطلب الكثير من التفتح الذهني والكثير من الدقة والإتقان.

٣- يُنظر إلى الحوار اليوم على أنه جزء من الحقوق الأدبية للإنسان على أخيه الإنسان.

قد أخفقت الجامعات والمدارس إخفاقاً ذريعاً في تمليك منسوبيها رؤية واضحة لأوضاع العالم المعاصر..

٤ - معظم الآباء والأمهات، لا يملكون الخبرة، ولا يملكون الطاقة الروحية المطلوبة لشرح المفاهيم العميقة.

٥- يهدف الحوار في الأصل إلى إضاءة النقاط المظلمة في عقول المتحاورين، وليس إلى الإقناع أو تحقيق الغلبة.

٦ - حتى يؤتي الحوار ثماره، فينبغي أن ينظر كل محاور إلى الحوار على أنه مصدر عظيم للتعلم وتعديل الأفكار.

٧- علينا من خلال الحوار مع الطلاب في المدارس أن ندربهم على

الدقة في التعبير والابتعاد عن الألفاظ التي تحتمل أكثر من معنى.

٨- إن للحكم على الناس والأحداث والأشياء قواعد وأصولاً ينبغي إطلاع الأطفال عليها، وتثقيفهم بها.

٩- سكوت الكبار على أمر، لا يدل على أنه مشروع أو صحيح، فقد يكون سكوتهم بداعي الخوف من ظالم، أو من أجل درء فتنة، أو مجاملة صديق..

١٠- الأحكام والقوانين الوضعية تقبل النقاش والتطوير أما الأحكام الشرعية الثابتة، فلا تقابَل إلا بالإيمان والتسليم.

١١- الصديق هو ذلك الصاحب الصادق في مودته.

١٢- من الصعب أن نجد الشخص الذي نثق به، ونستشيره في كل شؤوننا.

١٣- رعاية جميع العلاقات الاجتماعية، تعتمد على نحو أساسي على التضحية والعطاء المجاني.

١٤- ليس كل كافر عدواً، وليس كل قريب صديقاً.

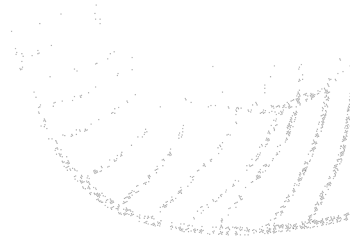
إتاحة البدائل وفرص الاختيار أمام الأطفال تخفف من التوتر العصبي وضغوط الحياة..

تدريبات وتطبيقات

- عوِّد نفسك أن تسأل الطفل عن المعاني التي فهمها من كلامك وصحح له ما يقع فيه من أخطاء.
- ناقش مع الطفل الأسباب التي تحمل المتحاورين على رفع

الصوت ومقاطعة بعضهم لبعض.

- عرِّف الطفل على طريقة تحدّث الشخص المتعصب لأفكاره وطريقة تحدث الشخص الباحث عن الحقيقة.
- اسأل الطفل: لماذا كان على المسلم الامتثال للأحكام الشرعية الثابتة دون نقاش؟
- الأطفال في حاجة إلى من يعلمهم كيف يعبرون عن غضبهم دون تجنٍ على أحد.



الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبي الرحمة ومن ولاه إلى يوم الدين وبعد:

فإنني لا أعرف كتاباً في العربية يتناول مسألة عقلية الطفل، وهذا الأمر له وجهان مختلفان، فهو من جهة يشكل فرصة لأن أقدم شيئاً جديداً لقرائي، أما الوجه الثاني فيتمثل في صعوبة سلوك طريق قلّ من سلكه من قبل، ولست أزعم أن ما تناولته من قضايا يعد جديداً على الساحة التربوية، فهذا غير صحيح، وإنما أعني جدّة العنوان والتنظيم الداخلي للكتاب وبعض الأفكار والمفاهيم المعروضة هنا، وسيظل تفاوت سوية القراء من الأمور التي تشكل تحدياً ظاهراً لجميع الكتّاب، فما هو معقد بالنسبة إلى القراء ذوي الاطلاع المحدود، يعدّ سهلاً بالنسبة إلى القراء المتخصصين في التربية، بل

ربما نظر إليه بعضهم على أنه معاد من القول مكرور؛ وهذا من جملة القصور المستولي على عموم البشر، وقد كنت أشعر أثناء الكتابة أنني ربما بالغت كثيراً أو قليلاً في بيان حجم الواجبات التربوية الملقاة على كواهل الآباء والمربين، وهذا الشعور ليس بعيداً عن الصواب، ولكن من الواضح أن بين التنظير والتطبيق مفارقة أبدية، ونحن مضطرون أثناء الحديث عن الأصول والآداب أن نجنح نحو شيء من المثالية حتى يجد معظم القراء أمامه ميداناً فسيحاً لتطوير أدائهم التربوي، وتطوير سلوكاتهم في التعامل مع أبنائهم، وأظن أن هذا الهدف قد تحقق بحمد الله. إن الأمل ليحدوني إلى أن أحث الإخوة القراء على أخذ التطبيقات والتدريبات الواردة في هذا الكتاب مأخذ الجد، وأن يحاولوا استخدامها أثناء ممارساتهم التربوية، وذلك لما أتوقعه من ثمار يانعة لهذه المحاولة.

وإني لأدعو الله - تباركت أسماؤه - أن ينفع إخواني القراء بهذا الكتاب، وأن يجعله لي ذخراً يوم لا ينفع مال ولا بنون؛ إنه سميع مجيب؛ **وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين.**

مراجع مختارة

- تربية الحرية - تأليف بولو فريري - ترجمة د. أحمد عطية أحمد، القاهرة - الدار المصرية اللبنانية عام ٢٠٠٤م.
- تنمية التفكير النقدي - تأليف ستيفن ديروكفيلد - ترجمة د. سمير هوانة - الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة عام ١٩٩٣م.
- تنمية المفاهيم الاجتماعية والدينية والأخلاقية في الطفولة المبكرة - تأليف د. حنان عبد الحميد العناني، عمان - دار الفكر ط أولى عام ١٤٢٦هـ.
- تعليم التفكير في المرحلة الأساسية - تأليف د. نايفة قطامي، عمّان - دار الفكر ط أولى عام ١٤٢١هـ.
- حول التربية والتعليم د. عبد الكريم بكار - دمشق - دار القلم الطبعة الثانية عام ٢٠٠٥م.
- خمسمئة طريقة وطريقة لتعزيز ثقة الطفل بنفسه - تأليف روبرت درامسي، الرياض - مكتبة جرير طبعة رابعة عام ٢٠٠٥م.

- الطفل المتحرر – تأليف عباس المسيري، القاهرة – مكبة الأنجلو المصرية، طبعة أولى عام ١٩٧٣م.
- كيف ينشئ الآباء الأكفاء أبناء عظماء، تأليف د. آلان ديفيد سون وروبرت ديفيد سون. الرياض – مكتبة جرير طبعة ثانية، عام ٢٠٠٥م.
- كيف تنشئ طفلاً يتمتع بذكاء عاطفي، تأليف لورنس شابيرو ف. ر الرياض، مكتبة جرير طبعة ثانية عام ٢٠٠٣م.
- مداخل تعليم التفكير، تأليف حسني عبد الباري، بيروت – المكتب العربي الحديث.

الفهرس



إن الهدف من التربية هو تنشئة جيل ملتزم بتعاليم دينه، قادر على التعامل مع معطيات زمانه، منضبط ذاتياً، ومقدر للمسؤوليات الملقاة على عاتقه؛ وهذا لن يتم إلا من خلال وجود مربين، يملكون ثقافة تربوية جيدة، ولهم وضعية سلوكية قويمة. والحقيقة أن الطفل الجيد هو الذي يتعرض لتربية جيدة، والتربية الجيدة تحتاج إلى اهتمام ورعاية ومتابعة، كما تحتاج إلى معرفة وممارسة، وفي ظني أن المربين يحتاجون اليوم إلى أمرين مهمين:

- تعلم الأساليب والمهارسات الصحيحة في تربية الأبناء.
- معرفة عدد جيد من المفاهيم والرؤى التي تتصل بجوانب الحياة المختلفة،

وقد قمت بتأليف هذا الكتاب من أجل تلبية هذين الأمرين معاً وشرحهما على أفضل وجه ممكن.

للحصول على هذا الكتاب يمكنكم التواصل عبر الموقع:
www.drbakkar.com

SR 20

دار وجوه للنشر والتوزيع
Wojooh Publishing & Distribution House
www.wojoooh.com
المملكة العربية السعودية - الرياض
ت: 4562410 ف: 4561675
للتواصل والنشر:
wojoooh@hotmail.com
www.facebook.com/wojoooh